جامعة الأنبار
كلية العلوم الإسلامية
قسم العقيدة

ملزمة التَّفسِير التَّحلِيلي

- المرحلة الثالثة -

للعام الدراسي (٢٠٢٠-٢٠٢١)

التمهيد في

تعريف التفسير التحليلي

(إن أول من قسم التفسير بهذا المنهج الدكتور أحمد جمال العمري ، فقد قال في كتابه : دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني . وقد ذكر ثلاثة ألوان :

١- التفسير التحليلي .

٢- التفسير الإجمالي .

٣- التفسير الموضوعي .

وقد زاد الأُستاذ الدكتور فهد الرومي في كتابه : بحوث في أُصول التفسير ومناهجه منهجاً رابعاً ، وهو : التفسير المقارن . والتفسير التحليلي منهج من مناهج أو أسلوب من أساليب علم التفسير إلى جانب التفسير الموضوعي والتفسير الإجمالي والتفسير المقارن .

التفسير التحليلي لغةً :

التحليلي الأصل من التحليل الحل فهو إذن مأخوذ من الحل ، ومعناه نقض وتفكيك التعقيد ، أي من حل العقدة أي فكها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾[1] ، وحلل الشئ أرجعه إلى عناصره ، وحلل اليمين تحليلاً جعلها حلالاً بكفارة أو استثناء ، وانحلت العقدة انفكت ، وتحليل الجملة بيان أجزائها ووظيفة كل منها .

التفسير التحليلي اصطلاحاً :

هو مركب من كلمتين هما (**التفسير**) و(**التحليلي**) فالتفسير في الأصل ليس خاصاً بتفسير القرآن ، ولكن شاع واشتهر أنه إذا أُطلق التفسير فالمراد به تفسير القرآن . وتفسير القرآن عُرف بتعريفات كثيرة ، فتوسع فيه قوم واختصره آخرون ، ومن تلك التعريفات ما عرفه الإمام ابن جزيء الكلبي رحمه الله حيث قال : (معنى التفسير : شرح القرآن ، وبيان معناه ، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه) .

---

[1]) سورة طه – الآية : ٢٧ .

وعرفه الإمام أبو حيان رحمه الله بأنه : (علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها ، وأحكامها الافرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تُحْمَلُ عليها حالَ التركيب ، وتتماتُ ذلك) .

وعرفه الإمام الزركشي رحمه الله بقوله : (هو علم يُفهمُ به كتابُ الله المُنَزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحِكَمِه) .

ومن أدق التعريفات وأسلمها أنه : (علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيثُ دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية) .

أو أنه : (علم بيان معاني القرآن الكريم بالنقل والعقل) .

ولقد عُرف التفسير التحليلي تعريفاً مركباً بتعريفاتٍ عدة ، نختار منها ما يلي :

(هو أحد أنواع علم التفسير ، ويلزم هذا النوع من التفسير المفسر على تحليل وتفسير آيات القرآن الكريم وسوره بالتسلسل دون التجاوز عن أي منها ، فيتتبع المفسر عملية التحليل سورة بسورة ، وآية بآية ، وهو ما كان ينتهجه المفسرون الأوائل ، إلا أن هذا الأسلوب من التفسير لا يغني عن الأنواع الأُخرى من التفسير كالإجمالي والموضوعي وغيرها ؛ وذلك نظراً لاهتمام التفسير بفهم واستيعاب دلالة الكلمة لغةً وشرعاً ، والتوصل للكشف عن ترابط الجمل والكلمات بين بعضها البعض ، وبين باقي تراكيب الآية الكريمة .

ويفيد التفسير التحليلي بمعرفة القراءات القرآنية ، ومدى تأثيرها على معنى الآية ومدلولها ، وكما يسلط الضوء على الإعراب والأساليب البنائية في الآيات القرآنية والإعجاز القرآني بها) .

وقيل في تعريفه كذلك : (هو الذي يتولى فيه المفسرون بيان معنى الألفاظ في الآية ، وبلاغة التركيب والنظم ، وأسباب النزول ، والقراءات ، واختلاف المفسرين في الآية ، ويذكر حكم الآية وأحكامها ، وقد يزيد بتفصيل أقوال العلماء في مسألة فقهية أو نحوية أو بلاغية ، ويهتم بذكر الروابط بين الآيات والمناسبات بين السور ونحو ذلك) . وقيل هو : (تبيين معاني الكلم القرآني إفراداً وتركيباً ، بواسطة تفكيك الآيات والجمل والكلمات إلى أجزائها ، ليعطي كل جزء ما تستحقه من البيان) .

وعرفه الدكتور مساعد بن سليمان الطيار ، فقال : (التفسير التحليلي أن يعمد المفسر إلى تفسير الآيات حسب ترتيبها في السورة ، ويذكر ما فيها من معانٍ وأقوال وإعراب وبلاغة وأحكام وغيرها مما يعتني به المفسر) .

وعرف كذلك بأنه : (منهج في تفسير القرآن الكريم يُراعى فيه الترتيب التعبدي للآيات والسور ، أو الآيات لقطاع معين داخل السورة الواحدة ، يقوم على منهج كفيل بتوضيح مراد الله تعالى من كلامه) .

وعرف كذلك بأنه : (التزام المفسر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورة سورة وآية آية ، وهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدامى إلا القليل النادر) .

ومن خلال هذه التعريفات نستطيع أن نقول في تعريف التفسير التحليلي : (هو أن يتتبع المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة ، أو سورة كاملة ، أو القرآن الكريم كله ، ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها ، ووجوه البلاغة فيها ، وإعرابها ، وأسباب نزولها إن وجدت ، وما يتعلق بها من أحكامٍ وحِكمٍ).

والحقيقة أنه لا يوجد تعريف قديم لهذا المصطلح ، وما وجد فيه متأخراً عن بعضهم إنما هو قريب مما ذكرته .

(وهذه الطريقة في التفسير لا يستغني عنها الباحث في التفسير الإجمالي أو الموضوعي أو المقارن ؛ لأن التفسير التحليلي ينصب إلى معرفة دلالة الكلمة اللغوية ودلالتها الشرعية ، والتعرف على الرابط بين الكلمات في الجملة وبين الجمل في تراكيبها الآية ، وبين الآيات في السورة ، وكذلك التعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية ، ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم ، وغيرها من الوجوه التي تساعد على إجلاء المعنى وتوضيح المراد .

فهو إذن التفسير الذي يعني بالدقة والعمق في استعمال العلوم التي يحتاج إليها المفسر ، وخصوصاً اللغوية والبلاغية ، بحيث يسير المفسر في هذا البيان مع آيات السورة آية آية ، شارحاً مفرداتها ، وموجهاً إعرابها ، وموضحاً معاني جملها ، وما تهدف إليه تراكيبها من أسرار وأحكام ، ومبيناً أوجه المناسبات بين الآيات والسور ، مستعيناً في ذلك بالآيات القرآنية الأُخرى ذات الصلة ، وبأسباب النزول ، وبالأحاديث النبوية ، وبما

صح عن الصحابة والتابعين ، وبغير ذلك من العلوم التي تعينه على فهم النص القرآني وتوضيحه للقراء ، مازجاً ذلك بما يستنبطه عقله ، وتمليه عليه نزعته) .

(وهذا اللون من التفسير هو أسبق أنواع التفسير وعليه تعتمد بقيتها ، ويتفاوت فيه المفسرون إطناباً وإيجازاً ، ويتباينون فيه من حيث المنهج ، فمنهم من يهتم بالفقهيات ، ومنهم من يهتم بالبلاغيات ، ومنهم من يطنب في القصص وأخبار التأريخ ، ومنهم من يستطرد في سرد أقوال السلف ، ومنهم من يعتني بالآيات الكونية أو الصور الفنية أو المقاطع الوعظية ، أو بيان الأدلة العقدية . وبذلك يكون هذا اللون من التفسير هو الغالب على تواليف العلماء ، وأكثر كتب التفسير على هذا النمط) .

قال الأُستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي :

(حيث يقف المفسر أمام كل آية ، ويقوم بتحليلها تحليلاً موسعاً مفصلاً ، ويتحدث أثناء التحليل عن مختلف الموضوعات والمباحث والمسائل ، في العقيدة واللغة والنحو والبلاغة ، وفي الروايات والأخبار والقراءات ، وفي الأحكام والتشريعات ، وفي الخلافيات والمناقشات والأدلة والبراهين . ويقدم المفسر في ذلك ثقافة موسوعية منوعة شاملة .

هناك تفاسير متوسطة الحجم والكم ، مثل تفسير الزمخشري ، وتفسير البيضاوي ، وتفسير النسفي ، وتفسير ابن جزيء الغرناطي .

وهناك تفاسير مفصلة أكثر ، مثل تفسير ابن كثير ، وتفسير ابن عطية ، وتفسير أبي السعود ، وتفسير القاسمي .

وهناك تفاسير موسعة كبيرة الحجم ، مثل تفسير الطبري ، وتفسير الرازي ، وتفسير الآلوسي ، وتفسير البقاعي ، وتفسير ابن عاشور .

ويجمع بين هذه التفاسير كلها ، أنها تفاسير تحليلية ، على اختلاف مناهجها والمدارس التي انتمى لها مفسروها) .

إن المهم من التفسير والبيان مساعدة المسلم على تدبر القرآن الكريم المأمور به في قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [1] .

---

[1]) سورة ص – الآية : ٢٩ .

فتتابع الناس في التفسير وألفوا فيه التآليف ، وكانت تآليف المتقدمين أكثرها إنما هي شرح لغة ، ونقل سبب ، ونسخ ، وقصص ، لأنهم كانوا قريبي عهد بالعرب ، وبلسان العرب ، فلما فسد اللسان وكثرت العجم ، ودخل في دين الإسلام أنواع من الأُمم مختلفة الألسنة وناقصة الإدراك لأسرار القرآن احتاج المتأخرون إلى إظهار ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من غرائب التركيب ، وانتزاع المعاني وإبراز النكت البيانية ، حتى يدرك ذلك من لم يكن من طبعه إدراكها ، ويكتسبها من لم تكن نشأته عليها ، ولا عنصره يحركه إليها ، بخلاف غيرهم من العرب ، فان ذلك كان مركوزاً في طباعهم يدركون تلك المعاني كلها من غير موقف ولا معلم ، لأن ذلك لسانهم وخطتهم وبيانهم ، على أنهم كانوا يتفاوتون أيضاً في الفصاحة وفي البيان .

أسماء التفسير التحليلي :

للتفسير التحليلي مسميات عدة ، منها : (التفسير الموضعي : هو الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحدٍ من القرآن الكريم ، متتبعاً ترتيب الآيات في سورها . وهذا اللون قد يكون بالمأثور ، أو بالرأي المحمود ، وقد يكون تحليلياً عند التفصيل ، أو إجمالياً عند الاختصار ، وقد يكون مقارناً إذا اتبع المفسر منهج الموازنة) .

(ويمكن أن نطلق على التفسير الموضعي اسماً آخر ، وهو التفسير التجزيئي ، بينما نطلقُ على التفسير الموضوعي اسم التفسير التوحيدي) .

قال الشيخ محمد باقر الصدر عن التفسير التجزيئي : (ونعني بالاتجاه التجزيئي : المنهج الذي يتناول المفسر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فآية ، وفقاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف ، والمفسر في إطار هذا المنهج يسير مع المصحف ويفسر قطعاته تدريجياً ...) .

(ووجه تسمية التفسير الموضعي بالتجزيئي أن المفسر يقوم بتجزئ الآية ، وتقسيمها على عدة جمل ، ثم يتكلم على جُملها جملة جملة ، وقد يتكلم على كلماتها كلمة كلمة) .

(والخُلاصة أن التفسير التحليلي قد يسمى التفسير الموضعي ، وقد يسمى التفسير التجزيئي) .

تاريخ وتطور منهج التفسير التحليلي :

إن المتتبع لحركة التفسير التحليلي وتطوره عبر المراحل التي مر بها هذا العلم، يلاحظ أنه قد مر بمراحل متعددة حتى وصل إلى ما وصل إليه من وضوح وقواعد مثلى وهذه المراحل أُبينها على النحو الآتي :

المرحلة الأولى :

(كان فيها التفسير التحليلي يقتصر على بعض الكلمات الغامضة أو الغريبة أو المشكلة ، وكان التفسير التحليلي للكلمات لغوياً نادراً جداً في عهد النبيﷺ لعدم حاجة المجتمع آنذاك لمثل هذا اللون؛ لتمكنهم من اللغة وعدم اختلاطهم بالأعاجم، حتى قيل إنه لا يوجد في عصر النبي ﷺ تفسير لغوي .

وكان جل اعتماد التفسير على أسباب النزول الذي يعد غالبه من باب التفسير المرفوع وحكمه ، وطريق هذا هو النقل عمن حضر التنزيل وشاهد نزول الوحي .

وقد وجدت هناك تفسيرات وتوضيحات من النبي ﷺ منها تفسيره القرآن للقرآن، أو شرحه لمصطلح معين، أو بيان أحكام الحلال والحرام، أو تأكيد لبعض أحكامه أو تخصيصها، أو بيان مجملها.

وقد وردت مجموعة كبيرة من الأحاديث التي لها علاقة بتفسير الآيات بصيغة مباشرة أو غير مباشرة ، وبقي الكثير من الآيات لم يتعرض لها النبي ﷺ ببيان وإيضاح وتفسير، إما لعدم حاجة الناس إليها ، أو تركها لعلم البشر واستخدام عقولهم وأفكارهم في استنباط معانيه .

المرحلة الثانية :

(وهي التي توسع فيها التفسير بصورة أكبر؛ حيث أصبحت الحاجة مُلحة لبعض الداخلين في الإسلام ممن لم يشهد الوحي في فهم بعض الآيات ، فبدأت الحاجة إلى التفسير اللغوي تتسع شيئاً فشيئاً ، حيث انتشر الإسلام وعم الشرق والغرب .

وقد نقل عن سيدنا عمرﷺ الدعوة إلى الاهتمام بالجانب اللغوي ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما خير من تصدى لهذا اللون، وقصته مع نافع بن الأزرق مشهورة معلومة .

كما كان لاجتهاد الصحابة والتابعين أثر فعال في تطور التفسير، فقد اجتهدوا في تفسير القرآن في ضوء قواعد الشرع واللغة ، ولهم أقوال رويت عنهم ، وحفظت في كتب

التفسير والسنة ، وكان غالبها مما يتعلق باللغة ، أو بالأحكام الفقهية ، حيث نشأت حركة تفسيرية في الأمصار الإسلامية كمدرسة مكة ، ومدرسة المدينة ، ومدرسة البصرة، والكوفة، واليمن، والشام .

وبهذا أصبحت أقوالهم لمن بعدهم عمدة التفسير بالمأثور، وكان الاختلاف فيما بينهم قليلاً وفي إطار المسائل العلمية الفقهية ، وقليل من العقدية .

ومع كل هذا فلم يُفسر القرآن كله في هذه المرحلة ، لا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين مع ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية فكانوا يكتفون كثيراً بالمعنى الإجمالي ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معانيه تفصيلاً .

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة التأصيل (وبدأت هذه المرحلة للتفسير التحليلي بعد التدوين للعلوم الإسلامية، وظهور علوم جديدة تخدم القرآن الكريم، وبدأ التحليل للنص القرآني على شكل أوسع.

حيث أُلفت المعاجم اللغوية ، واتسعت دائرة علوم اللغة، كالنحو والصرف والبلاغة، لذا بدأت خدمة النص بالتوسع في المفهوم اللغوي للكلمات القرآنية الغريبة ، فألفت على شكل كتب مستقلة كل كتاب أو علم يتناول النص القرآني من زاوية.

فمنها مثلاً : مجاز القرآن، لأبي عبيدة ت **٢١٠هـ** الذي فسر فيه دلالات الألفاظ القرآنية، وبين القراءات، وتحدث عن أساليب القرآن تفسيراً لغوياً خالصاً. وقد وضع اللبنة الأُولى في صرح الدراسات البلاغية القرآنية من تشبيه أو كناية، أو حذف ، أو تقديم وتأخير.

ومنها ما يسمى بكتب المعاني، مثل تفسير معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ت **٢٠٧هـ** الذي اهتم بضبط الألفاظ من خلال حديثه في القراءات وضبطها وتصحيحها، كما تحدث عن الألفاظ من حيث إعرابها واشتقاقها.

وكذلك ما فعله الأخفش ت **٢١٥هـ** في معاني القرآن الذي اهتم بالأصوات اللغوية، ووصف مخارجها، وبيان صفاتها، وعرض فيه وجوه القراءات المختلفة ، وشرح الألفاظ ، وبين موضعها من كلام العرب لغةً وصرفاً ونحواً وبلاغةً .

وهكذا اتسعت دائرة التحليل اللغوي لألفاظ القرآن، والتعمق في بيان الإعراب والأوجه البلاغية، وذكر القراءات وتوجيهها.

ومن مظاهر هذه المرحلة اتساع دائرة استنباط الأحكام الفقهية، واتساع دائرة الخلاف بين المدارس الفقهية، حيث ظهرت أهم مدارس الفقه في العالم الإسلامي، وأصبح لكل مدرسة تلامذتها وأتباعها، ودونت أقوال الفقهاء، ووضعت لها الأُصول الفكرية والمذهبية وخدمت الأدلة، وتوسع الاستدلال، ومن ذلك ما تناولوا فيه القرآن الكريم بما ورد فيه من أحكام فقهية، واستطاع الفقهاء أن يستنبطوا الكثير من الأحكام، بل وبدأت دراسة النص القرآني من الزاوية الفقهية فقط .

ولعل أقدم مؤلف في ذلك أحكام القرآن للإمام الشافعي ت **٢٠٤هـ** ، ثم ما ألفه أتباع المذهب المالكي، كإسماعيل بن إسحاق القاضي ت **٢٨٢هـ** ، أو ما ألفه أتباع الإمام أبي حنيفة، كالطحاوي ت **٣٢١هـ** ، ثم توالت التآليف وبلغت العشرات بعد ذلك .

إضافة إلى كتب الأحاديث والآثار التي نقلت لنا أقوال الصحابة والتابعين، أو ما ورد فيها من أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ في توضيح بعض الآيات القرآنية.

كما أن هناك كتباً استقلت بنقل أسباب النزول، منها ما أفرده بالتصنيف، كعلي بن المديني شيخ البخاري ت **٢٣٤هـ** .

كما كان لانفراد القراءات بالتأليف أثر في دراسة النص القرآني، فأول مصنف في القراءات كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام ت **٢٢٤هـ** ، ثم أحمد بن جبير الكوفي، ثم إسماعيل بن إسحاق القاضي ت **٢٨٢هـ** .

وكذلك ما ألف في الناسخ والمنسوخ، حيث ظهرت هذه المؤلفات مبكراً، مثل ما ورد عن قتادة بن دعامة السدوسي ت **١١٧هـ** ، وابن شهاب الزهري ت**١٢٤هـ** ، ومقاتل بن سليمان ت **١٠٥هـ** وغيرهم في هذا القرن وما بعده) .

المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة الجمع والاستقصاء (ثم جاءت فترة تناول النص القرآني من نواحيه المختلفة، مجموعة في تفاسير منفردة، تجمع غالب الخطوات المطلوبة للتفسير التحليلي .

ولعل أقدم من فعل هذه الطريقة ووصلنا كتابه هو الإمام محمد بن جرير الطبري ت **٣١٠هـ** الإمام الجليل المجتهد، صاحب التآليف المشهورة ، وقد برع في علومٍ كثيرة ، منها علم القراءات، والتفسير ، والحديث، والفقه، والتاريخ، واللغة .

وقد سلك الطبري في تفسيره مسلك الجمع والإحاطة والشمول لدراسة النص القرآني، يقول السيوطي: { وكتابه أجل التفاسير وأعظمها } ، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعض على بعض، والإعراب والاستنباط ، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين .

ولهذه المزايا تبوأ تفسيره مكانة عظيمة عند العلماء، يقول الإمام النووي: أجمعت الأُمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري . ومدحه وأثنى عليه الكثير.

وبهذا يكون الطبري أول من سلك طريقة التفسير التحليلي للنص في كتاب يجمع كثيراً من قواعد هذا العلم وخطواته، كانت كتب التفاسير السابقة تقتصر غالباً على بعض وجوه هذا التفسير، أو تعتمد التفسير بالمأثور فقط .

وقد أجمل الشيخ الفرغاني في تاريخه طريقة ابن جرير ومنهجه في تفسيره قائلاً: فتم كتب محمد بن جرير، كتاب تفسير القرآن وجوده ، وبين فيه أحكامه وناسخه ومنسوخه، ومشكله وغريبه ومعانيه ، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله، والصحيح لديه من ذلك، وإعراب حروفه ، والكلام على الملحدين فيه، والقصص وأخبار الأُمة ، والقيامة ، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب، كلمة كلمة، وآية آية ، فلو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد عجيب مستقصى لفعل .

وبهذا يعد عمله في التفسير الأول من نوعه على هذه الطريقة الجامعة لكل اتجاهات التفاسير السابقة ، أو الكتب المؤلفة، كما قال الزركشي: ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع على الناس أشتات التفاسير، وقرب البعيد .

وبهذا نقول: إن تفسير ابن جرير له الأولية بين كتب التفسير من الناحية الزمنية والفنية والصناعية ، حيث امتاز بها كتابه للطريقة البديعة التي أصبح تفسيره بعدها له قيمته ومكانته .

وذلك واضح من خلال ما عرضه من خطوات التفسير التحليلي المعلومة، فقد اهتم بالآثار والمعاني المنقولة عن السلف، كما بين القراءات ومعانيها وتوجيهها، ثم احتكامه إلى

اللغة، وبيان المعروف من كلام العرب، والاستشهاد بالشعر القديم ، وكذلك ما عرضه من ذكر المسائل النحوية واختلاف المدارس، فيما تمس الحاجة إليه، إضافة إلى المعالجات الفقهية، وتفسير آيات الأحكام والاستنباط .

ولقد قدمت عشرات الدراسات الحديثة عن هذا الكتاب ، وبيان جزئياته، وما تناوله من علوم كثيرة، والمكتبة القرآنية زاخرة بالكثير من علومه وفنونه.

وقد سار على طريقة ابن جرير هذه أغلب المفسرين، حيث كانوا يتطرقون في تفاسيرهم لخطوات المنهج التحليلي للنص القرآني، على اختلاف فيما بينهم، بين مقل ومكثر في بعض هذه النواحي.

ولعل من أوائل من وصلت إلينا تفاسيرهم متأثرين بطريقة ابن جرير الطبري الإمام الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر ت **٤٢٧هـ** حيث قال في مقدمة تفسيره: وخرجت فيه الكلام على أربعة وعشرين نحواً .

وقد قال عنه ياقوت في معجم الأدباء: التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات .

وما يؤخذ عليه إلا قلة بضاعته في الحديث، وإيراده بعض الغرائب والموضوعات، ووصفه ابن تيمية بقوله: والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل...

وقريب منه ما سلكه الإمام البغوي في تفسيره معالم التنزيل ت **٥١٦هـ** إلا أنه أسلم منه من حيث التحري في صحة الأحاديث والآراء المبتدعة .

واتجه أغلب المفسرين إلى هذا من بعد هؤلاء، كالإمام ابن عطية الأندلسي ت **٥٤٦هـ** في كتابه المحرر الوجيز، وقد لخص أقوال المفسرين السابقين، وتحرى ما هو الأقرب إلى الصحة منها، واهتمامه باللغة والنحو كثير، وكذلك القراءات والمسائل الفقهية والبلاغية .

ولعل وضوح المنهج التحليلي للنص القرآني يبرز لنا بصورة أكثر وأدق شمولاً عند أبي حيان الأندلسي ت **٧٤٥هـ** في تفسيره البحر المحيط ، وذلك لتضلعه بعدة علوم، ومنها علوم اللغة والنحو، حيث كان المرجع في ذلك لمن بعده، وقد بين طريقته ومنهجه الذي سيتبعه في تفسيره من خلال مقدمته ، وسأذكرها على رغم طولها ولكنها توضح خطوات هذا المنهج بأدق تفاصيله، وأوضح خطواته ، فقال: وترتيبي في هذا الكتاب أني أبتدئ أولاً :

١) بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه.

٢) ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب.

٣) ونسخها.

٤) ومناسبتها وارتباطها بما قبلها.

٥) حاشداً فيها القراءات – شاذها ومستعملها – ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية.

٦) ناقلاً أقوال السلف والخلف في فهم معانيها، متكلماً على جليها وخفيها، بحيث أني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها.

٧) مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب.

٨) ودقائق الآداب من بديع وبيان...

٩) ناقلاً أقوال الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية...

١٠) ثم أختتم الكلام في جملة الآيات التي فسرتها إفراداً وتركيباً، بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً...

١١) ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور، أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني، ملخصاً جملها أحسن تلخيص ، وقد ينجر معها ذكر معانٍ لم تتقدم في التفسير. ثم قال: وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن وزاد خطوة ليست عامة ولكنها نادرة وعلى حذر فيها ، وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ .

وهكذا وضع أبو حيان خطوات المنهج التحليلي الكامل للنص القرآني، على الرغم ما في كتابه من استطرادات نحوية، وخلافات لغوية كثيرة، جعلت القارئ العادي يتثاقل من ذلك مع ما فيه من خير كثير.

وقد سلكت الموسوعات التفسيرية هذا الاتجاه من التحليل، وأصبح الكثير منها يحمل علوماً متعددة ، نتيجة التعمق في التحليل والاستطراد الواسعين ، مثل الذي نجده عند الإمام الرازي ت ٦٠٦هـ ، والقرطبي ت ٦٧١هـ ، وابن عادل ت ٨٨٨هـ ، ومن بعدهم الإمام

الآلوسي ت ١٢٧٠هـ ، وصولاً إلا العصر الحديث الذي شهد توسعاً في هذا الميدان، فكتبت التفاسير التحليلية الجامعة، كتفسير محمد عبده ، والقاسمي، والمراغي، وأبي زُهرة ، وابن عاشور، والزحيلي وغيرهم.

وأنتجت الدراسات الأكاديمية الحديثة في رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه الكم الكثير من التفسير التحليلي، والتي كانت سمتها التخصص في بعض الآيات، وحسب الموضوعات أو السور، ممن التزم فيها بالخطوات المطلوبة وحسب مناهج وأُسس معلومة عند الباحثين.

وبهذا لم يكن التفسير التحليلي وليد العصر، كما ظنه بعض الكاتبين، وإنما كان هو الغالب على التفاسير السابقة وخاصة منها الجامعة الموسوعية، وإن الذي برز أخيراً وتأصل بصورة أوضح وأدق التفسير التحليلي في بعض الآيات أو الموضوعات أو السور) .

المرحلة الخامسة :

(وهي مرحلة الاستقلال والتخصص وهذه المرحلة كانت بوادرها قديمة، ولكنها توسعت فيما بعد توسعاً ظاهراً، حتى أضحى لكل جزئية من جزئيات التفسير التحليلي علم ينفرد به، ومؤلفات مستقلة، ومستوعبة لكل مفرداته، حتى إن الناظر ليخيل إليه أنها علوم ذات طابع خاص، بل أخذت عنواناً في المكتبة الإسلامية باسم {**علوم القرآن**} وتوسع العلماء فيها بحثاً وتأليفاً واستقصاء.

فلو تتبعت ما كتب في {**علم القراءات**} وتوجيهها وبيان معانيها، وما يستفاد منها في النص القرآني، إيضاحاً وفهماً وإبرازاً لمعانٍ وأحكام، لوجدت عشرات الكتب المختصة .

وقل مثلها عما كتب في {**الناحية الإعرابية**} للآيات القرآنية، فستجد عشرات الكتب الإعرابية، منها المطولة ومنها المختصرة ، ومنها ما تناولت القرآن الكريم كاملاً، ومنها ما اختارت سوراً معينة، أو آيات محددة ، أو مواضع من آيات .

وكذلك اختلفت مناهجهم فيها، فمنها ما هو إجمالي، ومنها ما هو تفصيلي، ومنها ما هو تحليلي، أو موضوعي، وكان ذلك على طول الدهور والأعصار قديماً وحديثاً.

وكذلك انفرد الاستنباط الفقهي في القرآن بكتب مستقلة وموسعة، وكتب فيها أصحاب المذاهب الفقهية كتب {**أحكام القرآن**} حسب قواعد كل مذهب، ومنها كتب مقارنة بين الآراء الفقهية المستنبطة من الآيات القرآنية .

بل إن التخصص والاستقلال نال أدق مسائل التفسير والتي لم يكن للعلماء السابقين بها عناية كبيرة واهتمام واضح لدقته وعسر مسلكه، ألا وهو {**التناسب في الآيات والسور**} ووجوه الترابط بين آي القرآن وبين سورها، وكانت هناك فيما سبق لمحات ولفتات، إلى أن جاء الإمام البقاعي ت **٨٨٥هـ** فألف موسوعته {**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**} في مجلدات عدة.

أما من {**الناحية اللغوية**} ومعاني المفردات فعلى كثرة المعاجم اللغوية المنتشرة، فقد اتجه بعضهم لحصر معاني ألفاظ القرآن وبيان معانيها وتقديمها أمام الباحثين في معاني الآيات، ولعل كتاب {**مفردات القرآن**} للراغب الأصفهاني ت**٥٠٢هـ** ، وكتاب {**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**} للسمين الحلبي ت**٧٥٦هـ** خير شاهدين على هذا التخصص الدقيق .

وهكذا في مجال {**أَسباب النزول**} الذي استوعب كل ما قيل فيه كل من الواحدي ت **٤٥٧هـ** ، والسيوطي ت **٩١١هـ** ، والكتابات لبعض المعاصرين وهي كثيرة.

أما في المجال {**البلاغي والبياني**} فرغم وجود مؤلفات مستقلة في العلوم البلاغية والبيانية في القرآن ، فإنها لم تتمكن أن تتناول استيعاب القضايا البلاغية في كتاب الله تعالى، وإنما وجدت مقتطفات ومقتبسات هنا وهناك، ودرست من جوانب متعددة تصب في هذا العلم، وأما الاستقصاء فدونه خرط القتاد، لأنه موطن الإعجاز في هذا الكتاب، فلا يمكن الإحاطة به، وإنما هي ومضات ولطائف تشرق بين الحين والآخر ليبقى هذا الكتاب يحمل في طياته سر الإعجاز إلى يوم الدين) .

أهمية التفسير التحليلي :

يقوم هذا المنهج على وصف ظاهرة من الظواهر ، للوصول إلى تحديد أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها ، واستخلاص النتائج منها ، ويتم ذلك من خلال تجميع البيانات ، وتنظيمها وتحليلها ، وتعود أهميته إلى اتصافه بمزايا ، منها :

١- إن المنهج التحليلي منهج يغوص في أعماق النص القرآني ؛ كلمةً وسبباً ومناسبةً وقراءةً وإعراباً وبلاغةً ومعنىً واستخلاصاً للفوائد والهدايات .

٢- أنه أقدم مناهج التفسير ، فقد كان التفسير في نشأته الأُولى يتناول الآيات المتتابعة ولا يتجاوزها المفسر إلى غيرها حتى يعرف معناها .

٢- أنه الغالب على المؤلفات في التفسير ، وأشهر التفاسير وأهمها قديماً وحديثاً .

٣- يتفاوت المفسرون في هذا المنهج من التفسير بين الإيجاز والإطناب ، فمن التفاسير ما جاء في مجلد واحد بما فيه النص القرآني الكريم كله ، ومنها ما جاء في أكثر من ثلاثين مجلداً .

٤- يظهر التباين بين المفسرين جلياً في المناهج والاتجاهات ، فمنهم من التزم في تفسيره بالتفسير بالمأثور والنقل عن أئمة السلف ، ومنهم من التزم بمناهج المذاهب الأخرى ، ومنهم من توسع في التأريخ والقصص والإسرائيليات .

٥- أهم ما يميز هذا النوع من التفسير هو الشمولية ، وتناوله للآية الكريمة من جوانبها المختلفة مما يعطي القارئ صورة متكاملة عن معناها .

٥- التفسير التحليلي لا يستغني عنه الباحث في التفسير الإجمالي أو الموضوعي أو المقارن ؛ وذلك لأن التفسير التحليلي ينصب على معرفة دلالة الكلمة اللغوية ودلالتها الشرعية والتعرف على الرابط بين الكلمات والجملة ، وبين الجمل في الآية الواحدة وبين الآيات في السورة ، وكذلك التعرف على القراءات وأثرها على دلالة الآية ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم ، وغيرها من الوجوه التي تساعد على إجلاء المعنى .

٦- هذا الأسلوب يوصل الباحث إلى الهدف الذي يسعى من أجله ، وهو كشف اللثام عما بعد فهمه من النص ، وإزالة الالتباس ، وإظهار الأسلوب المعجز له ، ومناقشة الآراء وترجيح الصائب منها بالدليل ، عبر خطوات منهجية ، وربط النص القرآني بالواقع لتوجيه جوانب الحياة وفق منطلقات قرآنية ، وكل المناهج التفسيرية الأُخرى ، إنما تنهل مما سطره متبعوا هذا المنهج في التأليف) .

الفرق بين التفسير التحليلي ومناهج التفسير الأُخرى :

أولاً : الفرق بين التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي :

١- في التفسير التحليلي : يلتزم المفسر بالترتيب التوقيفي للآيات والسور كما هو في المصحف .

أما في التفسير الموضوعي : فلا يلتزم ذلك الترتيب ، وإنما يلتزم بترتيب آيات الموضوع المزمع دراسته حسب نزولها على النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد تجميعها وانتزاعها من سورها .

٢- في التفسير التحليلي : يتعرض المفسر للحديث عن عدة موضوعات بحسب ما يرد في الآيات أو السور التي يتناولها بالتفسير .

أما في التفسير الموضوعي : فلا يتعرض المفسر لغير موضوعه ، وما يدور في فلكه من أبحاث تخدم موضوعه الذي شرع في دراسته ، وبذلك يتمكن من علاج موضوعات كثيرة ، كل موضوع منها قائم بنفسه لا يتصل بسواه ، ولا يختلط بغيره ، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة ، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية .

٣- في التفسير التحليلي : يتعرض المفسر للألفاظ والآيات القرآنية بالشرح والتحليل بما يتفق ومنهجه التفسيري ، وثقافته الخاصة .

أما في التفسير الموضوعي : فلا يشرح من ذلك إلا ما يحتاجه للوصول لغرضه ويكشف له عن غوامض موضوعه .

٤- في التفسير الموضوعي : يمكن أن تنظم الموضوعات القرآنية على هيئة أبحاث مستقلة ينفرد بعضها عن بعض بالبحث والدراسة التي تظهر هداية القرآن على الوجه الذي يطمئن إليه القلب وبشق طريق الحياة لصاحبها ، ويلهمه الرشد والسداد .

أما في التفسير التحليلي وبأساليبه المختلفة يصعب على الناظر أن يجد ذلك .

ثم إننا نجد فوق ذلك : أن المنهج التحليلي : هو المعروف من القديم ، والذي تزخر المكتبة القرآنية بالتفاسير التي التزمت به .

أما الموضوعي : فهو وان وجدت له في القديم بذوره ، وأُلفت فيه بعض الكتب ، إلا أنه لم يأخذ طابعه النهائي بعد ، وما زالت المكتبة الإسلامية القرآنية تتطلع إلى الكثير من

أبحاثه ، يترجم هذا التطلع الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بقوله : نود بكل الصدق والإخلاص أن تتضافر جهود العلماء والباحثين على المستوى الفردي والجماعي على هذا اللون من التفسير لتتكامل مكتبة جلية في البحوث القرآنية .

ثانياً : التفسير الإجمالي :

١- نجد أن صاحب التفسير الإجمالي وان كان : يعمد إلى الآيات القرآنية ، قاصداً إلى معاني جملها ، متتبعاً ما ترمي إليه من مقاصد ، وتهدف إلى الجمل من معانٍ ، مبيناً لهذه المقاصد ، وموضحاً لهذه المعاني ، بوضع كل ذلك في إطار من العبارات التي يصوغها من ألفاظه فانه يسير في تحقيق هدفه هذا غير مخالف ترتيب المصحف ، بل متتبعاً له كما هو موجود في المصحف العثماني .

٢- المفسر لا يهدف إلى موضوع واحد ، بل هو يتناول في تفسيره كل ما تشير إليه الآيات – بترتيبها المصحفي – من موضوعها دون أن يربط هذه الآية الواردة في هذا الموضوع بالأُخرى التي في نفس الموضوع إلا إذا كانت بطريقة إجمالية ، تستسيغها الجماهير ويدركها من له من العلم زاد قليل) .

ثالثاً : التفسير المقارن :

١- (يهدف التفسير المقارن إلى بيان الآيات القرآنية على وفق ما كتبه جمع من المفسرين .

٢- الباحث في التفسير المقارن كي يصل إلى هدفه لا بُد أن يعمد إلى جملة من الآيات القرآنية في مكانٍ واحد ، مستطلعاً آراء المفسرين الذين كثيراً في هذه الجملة من الآيات سواء كانوا من السلف ، أم من الخلف ... الخ ، ويوازن بين هذه الاتجاهات المختلفة ، والمشارب المتنوعة ، فيما سلكه كل منهم في تفسيره ، وما انتهجه في مسلكه) .

التعريف بالسورة :

أولاً : اسم السورة :

موضوع (أسماء السور) يرتبط بالمكي والمدني من جهة أن من يحكي السور المكية والمدنية يذكر اسم السورة.

وله ارتباط بموضوع (فضائل السور)؛ لأن الفضيلة إذا ذُكرت ذُكر معها اسم السورة لا محالة.

وله ارتباط بموضوع (أسباب النُّزول) إذا كان سبب النزول يتعلق بسورة؛ فإن ذاكر السبب يذكر اسم السورة.

يظهر أن تسمية السور كان قديماً جدّاً، حيث كان مع بدايات النُّزول، فالتسمية كانت مكية المنشأ؛ لأن الصحابة المكيين قد رووا أحاديث كثيرة فيها أسماء للسور، ومن ذلك حديث جعفر الطيار رضي الله عنه مع النجاشي ملك الحبشة، حيث قرأ عليه سورة مريم.

والمقصود من التسمية تمييز المسمى عمن يشابهه، ويمكن تقسيم التسميات . من حيث المسمِّي . إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ثبت عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، وهذا كثير، ومن أمثلته:

١ – ما رواه مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه.

اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان . أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف . تُحَاجَّان عن أصحابهما.

اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة (١) » .

٢ – وما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم» .

القسم الثاني: ما ثبتت تسميته عن الصحابي، ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الحشر. قال: قل: سورة بني النضير» .

القسم الثالث: تسمية من دون الصحابي إلى وقتنا هذا، وغالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة؛ كقولهم: سورة (أرأيت)، سورة (لم يكن)، وهكذا؛ حيث إنه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدلُّ عليها، وعلى هذا مضى السلف والخلف، حتى صار ما رأيتَ من تسمية السورة بحكاية أولها، وذلك هو الغالب على الكتاتيب، ودور تحفيظ القرآن الكريم.

---

(١) البطلة : السحرة .

ومما يحسن عِلْمُه في هذا الموضوع ما يأتي:

١ - أن بعض السور لها أكثر من اسمٍ، وهي إما أن تكون مما أُخِذَ عن الصحابة، أو يكون شيءٌ منها مما ثبت عنهم أو عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، ثم اشتهر عند المتأخرين اسم آخر.

٢ - أن تسميات السور لها علاقة بشيء مذكور في السورة، وهي على أقسام:

• منها ما يكون موضوعه مذكوراً في السورة؛ كسورة (التوبة)؛ سُمّيت بهذا الاسم لورود موضوع التوبة على النبي صلّى الله عليه وسلّم والذين معه والذين خُلِّفوا، في قوله تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: ١١٧ - ١١٨].

• ومنها ما يكون لفظ الاسم وارداً فيها، وعلى هذا أغلب التسميات ؛ كتسمية سورة (التوبة) بسورة (براءة)؛ لأنَّ افتتاحها بهذا اللفظ في قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١].

• ومنها ما يكون حكاية لمطلع السورة، وهو على قسمين:

الأول: أن يكون حكاية لألفاظ أول السورة بنصِّها؛ كقولهم: سورة قل هو الله أحد.

الثاني: أن يُشتق اسم من ألفاظ أول السورة؛ كقولهم: سورة الزلزلة.

٣ - أن بعض السور التي تعددت أسماؤها قد يكون بسبب من الأسباب المذكورة في الفقرة السابقة، وقد تكون واردة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، وقد تكون واردة عن الصحابة، وقد تكون عمن دونهم.

ومن الوارد عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ما سبق في تسمية الفاتحة، حيث قال صلّى الله عليه وسلّم: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم»، وهي تُسمَّى بهذه الأسماء الثلاثة.

وهذا التعدد في الأسماء يرجع إلى ذات واحدة، لكن كل اسم فيها يحمل من الصفة ما لا يحمله الاسم الآخر، وهذا هو سبب تعدد المسميات للشيء الواحد، والله أعلم.

ومن الوارد عن الصحابة، ما رواه مسلم بسنده عن سعيد بن جبير: «قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: آلتوبة؟! قال: بل هي (الفاضحة) ما زالت تنْزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا أن لا يبقى منهم أحد إلا ذُكِرَ فيها ، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر. قال: قلت: فالحشر؟ قال: نزلت في بني النضير» .

ولا شكَّ أن المتأمل في أسماء السور يجد لطائف من العلم، وتبرز له استفسارات تدعوه إلى البحث، فعلى سبيل المثال: لِمَ سُمِّيت سورة النمل بهذا الاسم، ولم تُسمَّ بسورة سليمان، وهو نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل؟! ومثل هذا النظر مدعاة للتدبر في أسماء السور، لكن لا يخفاك أنه قد لا يخلو من تكلف، والله أعلم .

المصادر التي تؤخذ منها أسماء السور :

١ – «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور»، للبقاعي (ت٨٨٥هـ).

٢ – «التحرير والتنوير»، للطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، حيث يذكر عند مقدمة كل سورة اسم السورة أو أسماءها إن كان لها أكثر من اسم.

٣ – «أسماء سور القرآن وفضائلها»، رسالة جامعية للدكتورة منيرة محمد ناصر الدوسري، وهي مطبوعة.

• ومما يلاحظ أيضاً أن معرفة ما سُمِّيت به السورة يمكن الرجوع فيه إلى المصادر الآتية:

• الأحاديث النبوية التي يرد فيها أسماء للسور.

• الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، خصوصاً ما ورد في ذكر السور المكية والمدنية.

• المصاحف العتيقة، حيث يُذكر فيها أسماء للسور.

• كتب الأحاديث المسندة، حيث يرد فيها تسميات كثيرة للسور.

• تفاسير العلماء، حيث يقدمون السورة بقولهم: تفسير سورة كذا.

ويمكن القيام بعمل إحصاء وجدولة لهذه الأسماء من خلال هذه المراجع وغيرها.

ثانياً : عدد الآيات :

يرتبط عد آي السور بموضوع (الفاصلة القرآنية)، وعد الآي يعتمد على معرفة رأس الآية. كما أن له علاقة بعلم (الوقف والابتداء) في حكم الوقف على رأس الآية.

وله تعلق بعلم (القراءات) من حيث حكم إمالة بعض الكلمات إذا كانت رأس آية عند من يميل من القراء.

كما أن له تعلقاً بعلم (إعجاز القرآن)؛ لأن الوقف على رأس الآية مقصد من مقاصد المتكلم بالقرآن، وذلك ما سترد الإشارة إليه في هذا الموضوع .

يمكن القول بأن هذا النوع من أنواع علوم القرآن قد أشار إليه القرآن، وذلك في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر: ٨٧]، فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: «مَرَّ بي النبي صلّى الله عليه وسلّم وأنا أصلي فدعاني، فلم آته حتى صليت، ثم أتيت، فقال: ما منعك أن تأتي؟! فقلت: كنت أصلي .

فقال: ألم يقل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال: ٢٤]؟ ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد، فذهب النبي صلّى الله عليه وسلّم ليخرج من المسجد، فذكَّرته، فقال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» ، فقوله: هي السبع؛ لأن آياتها سبعٌ ، وقوله: المثاني؛ لأنها تُثنَّى (أي: تكرر) في كل ركعة.

وأما الوارد في السنة النبوية مما يتعلق بعدِّ الآي، ففيه جملة من الأحاديث، منها:

١ – ما روى مسلم بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» .

٢– وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي تبارك الذي بيده الملك» .

ومن آثار الصحابة:

١ – ما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وهي خالته ، قال: فاضطجعت على عرض الوسادة، واضطجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأهله في طولها، فنام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله صلّى الله عليه

وسلّم، فجلس، فمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آيات خواتيم سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي ...» الحديث .

٢ – وروى مسلم في حديث عائشة رضي الله عنها عن حادثة الإفك أنها قالت: «فأنزل الله عزّ وجل: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} [النور: ١١] عشر آيات، فأنزل الله عزّ وجل هؤلاء الآيات براءتي» .

ولقد كانوا يعتمدون على عدد الآي في حساب بعض أمورهم المتعلقة بالصلاة، ومن ذلك ما أورده مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر ثلاثين آية، وفي الأخريين قدر خمس عشرة آية، أو قال نصف ذلك، وفي العصر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر قراءة خمس عشرة آية، وفي الأخريين قدر نصف ذلك» .

وهذه الآثار تدل على أمور:

١ – أن لهذا العلم أصلاً في سنة النبي صلّى الله عليه وسلّم.

٢– أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعاملون به في تقدير زمن بعض الأمور المتعلقة بتوقيت الصلاة .

الأمصار التي يُنسبُ إليها العدُّ : ينسب العدُّ إلى المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة، وفي ذلك تفصيل، وهذا ملخص ما ذكره الداني (ت٤٤٤هـ) في كتابه «البيان في عدِ آي القرآن» :

١ – العد المدني الأول: قال الداني (ت٤٤٤هـ): «فأما عدد أهل المدينة الأول، فرواه أهل الكوفة عنهم، ولم ينسبوه إلى أحد منهم بعينه، ولا أسندوه إليه، بل أوقفوه على جماعتهم ، وقد رواه نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ، عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، وهو الذي كان يعد به القدماء من أصحاب نافع. ورواه عامة المصريين عن عثمان بن سعيد ورش عنه، ودونوه، وأخذوا به».

٢ – العد المدني الأخير: قال الداني (ت٤٤٤هـ): «وأما عدد أهل المدينة الأخير، فرواه إسماعيل بن جعفر وعيسى بن مينا قالون المدنيان، عن سليمان بن مسلم بن جمَّاز، عن أبي جعفر وشيبة موقوفاً عليهما، وهو ينسب إلى إسماعيل ...».

٣ – العد المكي: قال الداني (ت٤٤٤هـ): «وأما عدد أهل مكة، فرواه عبد الله بن كثير القارئ، عن مجاهد بن جبر، عن عبد الله بن عباس، عن أُبي بن كعب موقوفاً عليه».
٤ – العد الكوفي: قال الداني (ت٤٤٤هـ): «وأما عدد أهل الكوفة، فرواه حمزة الزيات، عن ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً، ورواه عن حمزةَ الكسائيُّ وسليمُ بن عيسى وغيرهما».
٥– العد البصري: قال الداني (ت٤٤٤هـ): «وأما عدد أهل البصرة، فرواه المعلى بن عيسى الوراق وهيصم بن الشداخ وشهاب بن شُرْنفة، عن عاصم بن أبي الصباح الجحدري موقوفاً عليه».
٦ – العد الشامي: قال الداني (ت٤٤٤هـ): «وأما عدد أهل الشام، فرواه أيوب بن تميم القارئ، عن يحيى بن الحارث الذماري موقوفاً عليه، وبعضهم يوقفه على عبد الله بن عامر اليحصبي القارئ».

قال الداني (ت٤٤٤هـ): «وهذه الأعداد؛ وإن كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة، فإن لها لا شكَّ مادة تتصل بها، وإن لم نعلمها من طريق الرواية والتوقيف كعلمنا بمادة الحروف والاختلاف؛ إذ كان كل واحد منهم قد لَقِيَ غير واحد من الصحابة وشاهده وأخذ عنه وسمع منه، أو لَقِيَ من لَقِيَ الصحابة؛ مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واختراع، بل كانوا أهل تمسك واتباع».

الاختلاف في عدِّ الآي:

إنَّ الأصل في هذا العلم النقل، بل هو توقيف من الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ولا يمكن لأحدٍ أن يخترع موقِفاً يجعله رأس آية ، فإن قلت: ألا يوجد اختلاف بين العلماء في عدِّ الآي؟

فالجواب: نعم، ويمكن تقسيم السور من حيث الاتفاق والاختلاف إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لم يختلف فيه لا في إجمال ولا في تفصيل، وهو أربعون سورة: يوسف مائة وإحدى عشرة، الحجر تسع وتسعون، النحل مائة وثمانية وعشرون، الفرقان سبع وسبعون، الأحزاب ثلاثة وسبعون، الفتح تسع وعشرون، الحجرات والتغابن ثمان عشرة، ق خمس وأربعون، الذاريات ستون، القمر خمس وخمسون، الحشر أربع وعشرون، الممتحنة ثلاث

عشرة، الصف أربع عشرة، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات إحدى عشرة، التحريم اثنتا عشرة، ن اثنتان وخمسون، الإنسان إحدى وثلاثون ، المرسلات خمسون، التكوير تسع وعشرون، الانفطار وسبح تسع عشرة، التطفيف ست وثلاثون، البروج اثنتان وعشرون، الغاشية ست وعشرون، البلد عشرون، الليل إحدى وعشرون، ألم نشرح والتين وألهاكم ثمان، الهمزة تسع، الفيل والفلق وتبت خمس، الكافرون ست، الكوثر والنصر ثلاث.

القسم الثاني: ما اختلف فيه تفصيلاً (موطن الآي) لا إجمالاً (عدد الآي جملة)، وهو أربع سور:

١ - سورة القصص اتفقوا على عدها ثمان وثمانين آية، وعدَّ أهل الكوفة {طسم} آية، والباقون لم يعدوها، وعدُّوا بدلها {أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ}.

٢ - العنكبوت اتفقوا على عدِّها تسعاً وستين آية، وعدَّ أهل الكوفة {الم}، وأهل البصرة بدلها {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، وأهل الشام بدلها {وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ}.

٣ - سورة الجن اتفقوا على عدِّها ثمان وعشرين آية، وعدَّ المكي {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ}، وعدَّ الباقون بدلها {وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا}.

٤ - سورة العصر اتفقوا على عدِّها ثلاث آيات، وعدَّ المدني الأخير {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} دون {وَالْعَصْرِ}، وعكس الباقون.

القسم الثالث: ما اختلف فيه إجمالاً وتفصيلاً، وهو بقية السُّور (سبعون سورة) .

وهذا الاختلاف كما ترى، إنما هو في موضع رأس الآية، وليس في زيادةِ آية أو نقصها، فجملة ما نزل به القرآن لم يقع فيه خلاف، وإنما وقع في تحديد رأس الآية، فمن جعل سورة الإسراء . مثلاً . مائة وعشر آيات، أو مائة وإحدى عشر، لم ينقص الأول في مقدار النازل، ولم يزِد الثاني فيه، وإنما اختلفوا في موطن رأس الآي فقط .

وإذا كان الأمر كذلك فهو هيِّنٌ، والخلاف فيه محتملٌ مقبولٌ؛ لأنه لا أثر له في أصل القرآن، وإنما سيقع أثره في بعض المعلومات المتعلقة بهذا المبحث، كما سيأتي.

وقد اجتهد العلماء في تخريج هذا الاختلاف، مع أن الأصل أنه متلقى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن إجاباتهم:

١ – أنه يجوز أن يكون متلقَّى بهذا الاختلاف من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وذلك من باب اختلاف التنوع؛ لأنَّ هذا النوع من الاختلاف لا أثر له في أصل القرآن.

٢ – وجائزٌ أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان يقرأ الآيات بطريقة تُشعرهم بانتهائها، فكانوا يجتهدون في العدِّ، وقد يقع بينهم خلاف في ذلك شأن سائر اجتهاداتهم في النصوص.

وسواءٌ أصَحَّتْ هذه التخريجات أم لم تصحَّ، فإنه .كما سبق . لا أثر لهذا الاختلاف في جملة آي القرآن من جهة الزيادة والنقص، والله أعلم.

الآثار العلمية المترتبة على الاختلاف في العدِّ:

إذا تأمَّلت الاختلاف في موطن رأس الآية، وفتَّشت عن الأثر العلمي للاختلاف فيه، فإنه سيظهر لك ارتباطه بعدد من المسائل العلمية ومنها:

أولاً: أن الوقف على رأس الآية سنة عند بعض العلماء، ومعرفة مكانه يعين على تطبيق هذه السنة، وباختلاف العدِّ يختلف موطن الوقف على رأس الآية، فلو كنت تقرأ سورة العصر وأنت تتبع الجمهور في العدَّ، فستقرأ هكذا:

{وَالْعَصْرِ}، {إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

ولو كنت تقرأ على مذهب العدِّ المدني الأخير، فإنك ستقرأ هكذا: {وَالْعَصْرِ} {إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}، {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} .

وبهذا ترى أنه يختلف رأس الآية بين العادِّين، وفي كل حالٍ . إذا كنت ممن يرى أن الوقف على رأس الآي سنة . فإنك تكون قد وقفت وقف السنة على الوجهين عند أهل العدِّ.

ثانياً: أن من وجوه القراءة الإمالة لبعض الألفاظ التي تقع رأس آية، فإذا كانت اللفظة الممالة رأس آية في عدٍّ ما جازت الإمالة، وإن لم تكن رأس آية لم تَجُزِ الإمالة.

ثالثاً: أن لها تعلُّقاً ببلاغة القرآن، حيث إنَّ الوقف على رأس الآية . ولو كان ما بعدها متعلقاً بها من جهة المعنى . مقصدٌ من مقاصد المتكلِّم، وإلا فما فائدة رأس الآية، لذا فإنَّ

من يقف على رؤوس الآي التي تتعلق بما بعدها، فإنه يستجلب ذهنك للتفكير والتدبر في هذه الجملة التي انقطع فيها المبتدأ عن الخبر، وشبه الجملة عن مُتَعَلَّقِهِ ... إلخ.

وجرّب اتباع الوقف على رؤوس الآي في قوله تعالى: {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ *فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ *ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ *مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ *ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} [غافر: ٧٠ – ٧٥].

يقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ): «واعلم أن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز؛ لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوفُ عند الفواصل؛ لتقع في الأسماع، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل؛ كما تتأثر بالقوافي في الشعر، وبالأسجاع في الكلام المسجوع.

فإن قوله تعالى: {إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ} آية {فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} آية {ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ} آية {مِنْ دُونِ اللَّهِ} إلى آخر الآيات. فقوله: {فِي الْحَمِيمِ} متصل بقوله: {يُسْحَبُونَ}، وقوله: {مِنْ دُونِ اللَّهِ} متصل بقوله: {تُشْرِكُونَ}، وينبغي الوقف عند نهاية كل آية منها.

وقوله تعالى: {وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} آية، وقوله: {مِنْ دُونِهِ} ابتداء الآية بعدها في سورة هود.

ألا ترى أن من الإضاعة لدقائق الشِّعرِ أن يلقيه ملقيه على مسامع الناس دون وقف عند قوافيه، فإن ذلك إضاعة لجهود الشعراء، وتغطية على محاسن الشعر، وإلحاق للشعر بالنَّثر ، وأن إلقاء السجع دون وقوف عند أسجاعه هو كذلك لا محالة .

ومن السذاجة أن ينصرف مُلقِي الكلام عن محافظة هذه الدقائق، فيكون مضيعاً لأمر نفيس أجهد فيه قائله نفسه وعنايته.

والعلَّةُ بأنه يريد أن يبين للسامعين معاني الكلام = فضولٌ، فإن البيان وظيفة ملقي الدرس، لا وظيفة منشد الشعر، ولو كان هو الشاعر نفسه» .

المصادر التي تؤخذ منها عدِّ الآي :

١ - «البيان في عد آي القرآن»، لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ).
٢ - «الفرائد الحسان في عد آي القرآن»، لعبد الفتاح القاضي (ت١٤٠٣هـ).

ثالثاً : تاريخ النزول (مكي ومدني) :

للعلماء في معنى المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات:

الأول -وهو الأولى والأشهر: أن المكي ما نزل قبل هجرته -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة.

وهذا التعريف جامع مانع، روعي فيه زمان النزول، وهو أولى من رعاية المكان؛ لأن معرفة التدرج في التشريع ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من الفوائد متوقفة على معرفة المتقدِّم والمتأخِّر في الزمان، لهذا كان هذا التعريف هو المعتمد عند أكثر أهل العلم.

وعليه تكون آية:

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم} المائدة : ٣ -مثلًا- مدنية، مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع.

وكذلك آية: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} النساء : ٥٨ .

فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم.

وقل مثل ذلك فيما نزل بأسفاره -عليه الصلاة والسلام؛ كفاتحة سورة الأنفال، وقد نزلت ببدر، فإنها مدنية لا مكية على هذا الاصطلاح المشهور.

الثاني من المصطلحات: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها، كالمنزَّل على النبي -صلى الله عليه وسلم- بِمِنَى وعرفات والحديبية، ويدخل في المدينة ضواحيها أيضًا، كالمنزَّل عليه في بدر وأحد، وهذا التقسيم لوحظ فيه مكان النزل كما ترى.

وهذا التعريف لما روعي فيه المكان لم يكن ضابطًا صحيحًا لاختلاف الأماكن التي نزل فيها القرآن، بخلاف التعريف الأول، فإنه يحدِّد المكي بزمان معين، وهو ما قبل الهجرة، ويحدِّد المدني بزمان معين، وهو ما كان بعد الهجرة، ونحن نعلم أن من القرآن ما لم ينزل بمكة ولا بالمدينة، بل أنزل بأماكن أخرى متباعدة.

فقوله تعالى -مثلًا- في سورة التوبة: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} سورة التوبة : ٤٢ ، نزلت بتبوك.
وقوله -جل شأنه- في سورة الزخرف: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} سورة التوبة : ٤٥ ، فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء .

الثالث: أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة .
وعليه يُحْمَلُ قَوْلُ مَنْ قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ: {يَا أَيُّهَا النَّاس} فهو مكي، وما صدر فيه بلفظ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فهو مدني؛ لأن الكفر كان غالبًا على أهل مكة؛ فخوطبوا بيا أيها الناس، وإن كان غيرهم داخلًا فيهم، ولأن الإيمان كان غالبًا على أهل المدينة، فخوطبوا بيا أيها الذين آمنوا، وإن كان غيرهم داخلًا فيهم أيضًا، وأَلْحَق بعضهم صيغة {يَا بَنِي آدَم} بصيغة {يَا أَيُّهَا النَّاس} .
أخرج أبو عبيد في فضل القرآن عن ميمون بن مهران قال: "ما كان في القرآن {يَا أَيُّهَا النَّاس} أو {يَا بَنِي آدَم} فإنه مكي، وما كان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فإنه مدني.
وهذا التعريف غير ضابط، لأنه لوحظ فيه المخاطبون، فإن في المكي ما صدر بيا أيها الذين آمنوا، وفي المدني ما صدر بيا أيها الناس ، وفيهما ما لم يصدر بأحداهما.
سورة الحج -مثلًا- مكية وفي آخرها:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} سورة الحج : ٧٧ ، وسورة النساء مدينة وأولها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ} سورة النساء : ١ ، ومن ذلك في المكي والمدني كثير ، ويمكننا أن نقول: إن هذا التعريف يجري مجرى الغالب، إلّا أنه من شأن التعريف أن يكون جامعًا مانعًا، وجريانه مجرى الغالب لا يجعله كذلك ، فالمراد لا يدفع الإيراد -كما يقولون .

ضوابط كلية لتمييز المكي من المدني:

علمنا أن طريق معرفة المكي والمدني من القرآن النقل الصحيح عن الصحابة، ثم عن التابعين ومَنْ بعدهم، وعلمنا أن أشهر المصطلحات وأصحَّها في تعريف المكي والمدني، هو أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، ونريد أن نعرف هنا أن هناك ضوابط كلية لمعرفة كلٍّ منهما، مبناها على الغالب والكثير ترجع إلى اللفظ، أو إلى أمور معنوية، وأن هناك أيضًا خواص ومزايا، ومقاصد وأغراض، انفرد بها كلٌّ منهما عن

الآخر، وهي أمور دقيقة يتوقف إدراكها على شيء من إعمال الفكر، وإنعام النظر، ومعرفة واسعة بعلوم الشريعة واللغة .

ويلاحظ أن هذه الضوابط توجد في بعض السور دون بعض، فإذا وجد في سورة من السور شيء من هذه الضوابط عُلِمَ أنها مكية أو مدنية.

فيما يلي بيان بعض هذه الضوابط بإيجاز:

١- كل سورة فيها لفظ "كَلَّا" فهي مكية، وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثًا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة، كلها في النصف الأخير؛ لأن هذا النصف نزل أكثره بمكة، وأكثرهم جبابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد.

٢- كل سورة في أولها حرف من حروف المعجم مثل "المص –ق – ن" فهي مكية، إلّا الزهراوين [1] ، وفي الرعد خلاف.

٣- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الماضية، فهي مكية سوى البقرة فهي مدنية، وكذا آل عمران.

٥- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية، سوى البقرة.

٦- كل سورة فيها ذكر الجهاد، من الإذن فيها وبيان أحكامه، فهو مدنية، وكذا ما يتعلق به كالمعاهدات.

٧- كل سورة فيها ذِكْرُ المنافقين فهي مدينة، ما عدا سورة العنكبوت، والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الأولى منها، وهي إحدى عشرة، فإنها مدنية، وهي التي ذُكِرَ فيها المنافقون.

٨- كل سورة فيها ذكر الحدود والفرائض فإنها نزلت بالمدينة، والمراد بالفريضة هنا فريضة الميراث، لا مطلق الفريضة، وإلّا ففي المكي فرائض كثيرة كالصلاة والعدل، والتواضي بالحق، والتواصي بالصبر، والوفاء بالعهد وغيرها.

وقد اشتهرت أحكام الميراث باسم الفرائض، حتى قال صلى الله عليه وسلم –كما روى الإمام أحمد بإسناد صحيح: "أفرضكم زيد".

---

(١) سورتي البقرة وآل عمران .

مقاصد المكي والمدني:

القرآن الكريم بوجه عام كتاب هداية، ومنهج حياة، بيَّن الله فيه للناس ما يجب لهم، وما يجب عليهم، وما يحل لهم، وما يحرم عليهم، بأسلوب واضح ناصع البيان، وقد كان في مرحلته الأولى يمتاز بمميزات تأسيسية عقدية وشرعية مجمَلة، وكان في مرحلته الثانية يمتاز بمميزات فرعية تابعة لما سبقها، مفصِّلَةٌ لها، ومبينة لشروطها وأسبابها وعللها، وغير ذلك مما يقتضيه مقام البيان والتفصيل.

فما نزل بالمدينة تابع لما نزل بمكة في أصوله العامة، ومحمولٌ عليه، ومؤيِّدٌ لها.

وإليك بيان ما امتاز به القرآن المكي عن القرآن المدني، وبيان ما امتاز به المدني عن المكي بوجه عام:

١- يعنى القرآن المكي أولًا بترسيخ الأصول الاعتقادية التي جاءت بها جميع الشرائع السماوية ، وهي توحيد الله -عز وجل، وإفراده بالعبادة، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته تعالى، وتصديق الرسل في كل ما جاءوا به، والإيمان بالكتب المنزَّلة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر، إلى آخر ما هنالك من الأصول الاعتقادية .

٢- وعُنِيَ القرآن المكي أيضًا كلَّ العناية بالقضاء على ما ورثوه عن آبائهم، وما ابتدعوه من عند أنفسهم من عادات سيئة، ومعتقدات فاسدة، كسفك الدماء، وأكل مال اليتيم، ووأد البنات، والتطفيف في الكيل والميزان، وغير ذلك من الرذائل.

٣- ودعاهم إلى أصول التشريعات العامة، والآداب السامية، بوصفها برهانًا عمليًّا على سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد ، وهذه الأصول التي دعاهم إليها القرآن المكي فصَّلها القرآن المدني، ووضع لها الشروط والقواعد والضوابط، كما سيأتي بيانه بعد قليل .

٤- ولتثبيت هذه الأصول والمعتقدات الصحيحة في قلوب الناس جميعًا؛ مؤمنين وكافرين، عُنِيَ القرآن المكي عناية فائقة بأخبار الأنبياء والأمم السابقة، لما فيها من عظاتٍ وعِبَرٍ وتبيانٍ لسنة الله تعالى في هلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين ، ولقد كان إيراد القصص في القرآن المكي بكثرةٍ من أبلغ الأدلة على أن القرآن كان وحيًا من الله تعالى.

ولو تأخَّر إيراده إلى العهد المدني، لقال الكفار: تعلمه محمد -صلى الله عليه وسلم- من أهل الكتاب، ولكان لقولهم هذا مبرّرٌ على نحوٍ ما؛ لأن أهل الكتاب كانوا على علمٍ ما

بقصص الأنبياء، وأخبار الأمم ، ولقد قال المشركون في مكة: إنما يعلمه بشر، وادعوا أنه يخلو إلى غلام رومي، ويتلقى عنه هذا القرآن، ولم يكن لقولهم هذا شاهد من العقل، ولا من الواقع ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾سورة النحل : ١٠٣ ، فلو قالوا عن القرآن المدني: تعلّمه محمد من اليهود حين جاورهم واتصل بهم، قيل لهم: ومَنْ الذي علمه القرآن الذي نزل عليه بمكة، متضمنًا من أخبار الأولين والآخرين ما لا يعلمه اليهود ولا غيرهم .

٥- ومن خواص هذا القسم قِصَرُ معظم آياته وسوره، ولا سيما أوائل ما نزل، ولعل ذلك كان كذلك ليتمكن المؤمنون من حفظه بسهولة ويسر، فهم في أول عهدهم به لم تتعوَّد ألسنتهم على النطق به مرتلًا كما أمر الله تعالى أن يُتْلَى، وفيهم الشيخ الكبير، والمرأة المسنة، والطفل الصغير، وأكثرهم أمِّيُّون، فكيف يستطيعون قراءة الآيات الطويلة المقاطع، وهم لم يتعودوا بعد على مثل **ذلك**، فكان من رحمة الله بهم أن أنزل الله هذه السور القصيرة في آيتها ومقاطعها ليتمكنوا من حفظها وتلاوتها في يسر ونشاط .

وأمَّا مقاصد القرآن المدني فهي -كما قلنا- تابعة للمقاصد السابقة، ومبنية عليها، ومبيِّنَة لمجملها، ويمكننا أن نجملها فيما يلي:

١- بيان الأحكام العقدية والشرعية بالتفصيل، بيانًا يكشف دقائقها وأسبابها، وشروط صحتها، والحكمة من تشريعها.

٢- ظهرت في العهد المدني تشريعات لم تكن في العهد المكي، مثل مشروعية الصوم، ومشروعية القتال، وفريضة الحج، وتحريم الخمر، وتحريم الربا، وغير ذلك.

٣- الكشف عن أحوال المنافقين الذين كانوا أشدَّ الناس خطرًا على الإسلام والمسلمين، وبيان ما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر وخداع، وحرصٍ وطمع، وإعلام المسلمين بمآلهم بعد إعلامهم بحالهم، وإيصائهم باتخاذ الحيطة والحذر من كيدهم وألاعيبهم، ومراقبتهم في جميع تصرفاتهم المغرضة، ومجاهدتهم بالحجة والبرهان، والإغلاظ عليهم في القول والمعاملة، مع بذل النصح لهم بالرجوع إلى الله تعالى، والتمسُّك بدينه الحنيف .

٤- دعوة أهل الكِتَاب إلى الإسلام ومجادلتهم بالحُجَّة والبرهان في معتقاداتهم الباطلة، وشبههم المزيفة، وبيان جناياتهم على الكتب السماوية بالتحريف والتبديل، وردِّهم عن غيّهم إلى الرشد الذي جاءهم به الإسلام .

فائدة العلم بالمكي والمدني:

بعد أن عرفنا ما هو المكي والمدني، وخصائص كلٍّ منهما، يجدُر بنا أن نختم هذا البحث ببيان ما يعود على الباحثين فيه من الفوائد، فنقول:

١- تمييز الناسخ من المنسوخ، فيما لو وردت آيتان أو أكثر مختلفة الحكم، وعلمنا أن إحداها مكية، والأخرى مدنية، فإننا نحكم حينئذ بأن المدنية ناسخة للمكية لتأخرها عنها.

٢- معرفة تاريخ التشريع، والوقوف على سنة الله في التدرج بالأمة من الأصول إلى الفروع، ومن الأخفِ إلى الأثقل، وهذا يترتب عليه الإيمان بسموِّ السياسة الإسلامية في تربية الفرد والجماعة.

٣- تفيد هذه الدراسة في الوقوف على الخصائص البلاغية لكلٍّ من المكي والمدني، والكشف عن ظواهرها المختلفة، ومقارنة بعض هذه الظواهر ببعض، والبحث في مواضع الجمال في كلٍّ منهما من غير تفضيل ولا موازنة، لأن القرآن كله متساوٍ في الفصاحة والبلاغة، والحلاوة والطلاوة والجمال، على ما سيأتي بيانه عند الكلام على أسلوب القرآن وبيان إعجازه ، لهذا عُنِيَ المسلمون عناية فائقة بتتبُّع ما نزل بمكة، وما نزل بالمدينة، بل عُنِيَ بعضهم بتتبع جهات النزول في أمكانها وأوقاتها المختلفة، وبذلوا في ذلك جهودًا مضنية .

وفي ذلك دليل على سلامة القرآن من أي تغيير أو تحريف، فقد تلقَّاه الجمع الغفير من التابعين عن الجمع الغفير من الصحابة، وتلقَّاه الأواخر عن الأوائل بالمشافهة والتلقين، مع الوقوف على أماكن نزوله وأوقاته وأسبابه، وغير ذلك مما يتصل بألفاظه ومعانيه ومقاصده ، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} سورة الحجر : ٩ .

رابعاً : ترتيبها بالمصحف :

وينقسم إلى قسمين :

أ- ترتيب الآي . ب- ترتيب السور .

أ- ترتيب الآي :

اتفق العلماء على أن ترتيب آيات القرآن كانت بتوقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- تلقاه من ربه -عز وجل- بطريق الوحي.

وقد حكى الإجماع في ذلك غير واحد من المحققين.

كما ذكر الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان وغيرهما، وقد ورد في ذلك نصوص مترادفة تدل على ذلك منها:

ما أخرجه أحمد بإسناد حسن، عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسًا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ شَخَصَ ببصره، ثم صوَّبَه، ثم قال: "أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذه الموضع من هذه السورة".

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} ١. إلى آخرها.

ومنها ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} ٢ قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئًا منه من مكانه.

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالًا ما ثبت من قراءته -صلى الله عليه وسلم- لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران في الصلاة وغيرها، بمسمَعٍ من الصحابة، وما كان الصحابة ليرتِّبوا ترتيبًا سمعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك التواتر.

وروى الترمذي والحاكم وابن حبَّان وأبو داود وأحمد من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض مَنْ كان يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا". حسَّنه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم.

ب- ترتيب السور:

اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم على ثلاثة أقوال:

الأول: إن ترتيب السور على ما هو عليه الآن في المصاحف كان باجتهاد الصحابة، ولم يكن بتوقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم.

وينسب هذا القول إلى الإمام مالك، وجمهور غفير من العلماء.

واستدلَّ أصحاب هذا القول بأدلة كثيرة، منها:

١- أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب سورها، ولو كان الترتيب توقيفًا ما ساغ لهم أن يرتبوا على غير الوارد.

فمصحف ابن مسعود كان مبدوءًا بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران، وهكذا على اختلاف واسع بينه وبين الترتيب الذي في المصحف اليوم ، ومصحف أُبَيّ بن كعب كان مبدوءًا بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأنعام، إلخ، مع خلاف كبير ، ومصحف علي -كرَّم الله وجهه- كان مرتَّبًا على حسب النزول، فأوله سورة أقرأ، ثم المدثر، ثم "ن والقلم"، ثم المزمل، ثم تبت؛ ثم التكوير، وهكذا إلى آخر سورة المكية، ثم السور المدنية.

٢- أخرج ابن أشتة في المصاحف عن أبي محمد القرشي قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال، فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع، ولم يفصل بينهما "بسم الله الرحمن الرحيم".

٣- روى أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، وضممتوها في السبع الطوال؟ فقال عثمان -رضي الله عنه: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا أُنْزِلَ عليه شيء دعا بعض من يكتب، فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولًا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقُبِضَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" ووضعتهما في السبع الطوال ، فهذا الحديث يدل على اجتهاد الصحابة في ترتيب سور القرآن.

٤- ثبت في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قرأ سورًا ولاء [١] على غير ترتيبها التي هي عليه الآن، فقرأ سورة النساء قبل سورة آل عمران ، ويعبِّر عن هذا الرأي ابن فارس في كتابه المسائل الخمس، فيقول: جُمِعَ القرآن على ضربين، أحدهما تأليف، كتقديم السبع الطوال، وتعقيبها بالمئين، فهذا الذي تولته الصحابة -رضي الله عنهم ، وأما الجمع الآخر، وهو جمع الآيات في السور، فذلك شيء تولاه النبي -صلى الله عليه وسلم، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه -عز وجل .

الثاني: أن ترتيب جميع السور كان بتوقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- كترتيب الآيات، ويعبِّر عن هذا الرأي الكرماني في البرهان، فيقول: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان -صلى الله عليه وسلم- يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين.

ويقول أبو بكر بن الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرق في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويقف جبريل النبي -صلى الله عليه وسلم- على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كله عن النبي -صلى الله عليه وسلم، فمن قدم سورة، أو آخرها فقد أفسد نظم القرآن .

واستدلوا لهذا الرأي بالأدلة الآتية:

١- روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن سعيد بن خالد: قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالسبع الطوال في ركعة، وفيه أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يجمع المفصَّل في ركعة.

ت٢ - روى أحمد وأبو داود عن حذيفة الثقفي قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف، فقال لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "طرأ علي حزب من القرآن، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه"، فسألنا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم، قلنا: كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة،

---

(١) أي: متوالية على غير الترتيب الذي هو في المصحف الآن .

وحزب المفصَّل من "ق" حتى نختم ، فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف الآن، كان على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم .

٣- أخرج ابن أشته في كتاب المصاحف، عن سليمان بن بلال قال: سمعت ربيعة يسأل: لم قُدِّمَت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنما أنزلتا بالمدينة؟، فقال: قُدِّمَتَا وأُلِّفَ القرآن على علم ممن أَلَّفه، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما ينتهي إليه، ولا يسأل عنه.

٤- أن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كُتِبَ في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد، فلو كان هذا الإجماع عن اجتهاد لتمسَّك أصحاب المصاحف المخالفة بترتيب مصاحفهم.

٥- لو كان ترتيب السور عن اجتهاد لظهرت العلة التي بُنِيَ عليها، فمن الواضح أنه لم يرتَّبْ على حسب النزول الزمني، ولا على الطول والقصر، فسور طوال بين قصار وبالعكس، ولا على المكي والمدني، فسور مكية بين سور مدنية وبالعكس، ولا على تجانس الموضوعات وقربها؛ فبين سور القصة الواحدة سور أخرى، ولا على حسب الفواتح، فلم تذكر المسبحات ولاء، مع أن الحواميم رتبت ولاء، كذلك اختلَّ ترتيب الطواسين حيث فصل بين "طسم" الشعراء و"طسم" القصص بـ "طس".

وحيث لم تظهر علة لهذا الترتيب مع الإجماع عليه، كان بتوقيف وتسليم وإذعان لصاحب القرآن.

وقد حاول الزركشي أن يجعل الخلاف بين هذين القولين لفظيًّا، فقال في البرهان: والخلاف بين الفريقين لفظيّ؛ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله، ومواقع كلماته.

ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي –صلى الله عليه وسلم، مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي؟ أو بمجرد إسناد فعلي؛ بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر؟ والمتأمل في أدلة الفريقين يستبعد وجهة نظر الزركشي، ويحكم بحقيقة الاختلاف.

القول الثالث: أنَّ سور القرآن ترتيبها توقيفي إلّا قليلًا منها؛ فترتيبيه عن اجتهاد من الصحابة، واختلف أصحاب هذا القول في مقدار هذا القليل وتحديده، فابن عطية يرى: أن كثيرًا من

السور كان قد عُلِمَ ترتيبها في حياته –صلى الله عليه وسلم؛ كالسبع الطوال، والحواميم والمفصَّل، وإن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فُوِّضَ الأمر فيه إلى الأمة بعده.
وأبو جعفر بن الزبير يرى: أن الآثار تشهد بأكثر مما نصَّ عليه ابن عطية.
والبيهقي في المدخل يرى: أن القرآن كان مرتَّبًا على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– سوره وآياته على هذا الترتيب إلّا الأنفال وبراءة.
وأدلة هذا القول عبارة عن الأخذ بأدلة الفريقين السابقين والجمع بينهما.
وقد ناقش العلماء هذه الأدلة مناقشة موضوعية لترجيح بعضها على بعض، فاستقرَّ أكثرهم على ترجيح القول الثالث واعتماده لخلوه من الاعتراض، وجمعه بين الأقوال على نحو تطمئن إليه النفس.
يمكن الرجوع إلى كتاب «الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره» للدكتور أحمد يوسف القاسم. وهو من أنفس كتب المعاصرين في ترتيب السور.

الدراسة النظرية للتفسير التحليلي

أولاً : تحليلُ الألفاظ :

نزل القرآن الكريم بلسانٍ عربي مبين ، واحتوى أفصح أساليب العرب في الكلام ومشاربهم في القول . لذلك كانت لغة العرب وقت نزول القرآن الكريم هي الضابط لفهم مقاصده ومراميه ، ومن هنا برزت عناية المفسرين واحتكامهم إلى العربية وقواعدها بعدها وسيلة لفهم كلام الله تعالى .
وما من شك في أن اللغة العربية لغة بيان وإفصاح ، وقد امتدت جذورها الظاهرة الضاربة في القدم لترتبط بجذور علوم متنوعة ، فلها صلتها الوثيقة بالعلوم الإسلامية عامة وبالتفسير خاصة .
لذا نجد أن المفسرين قد جعلوها أساساً مهماً في التوجيه المعنوي للنص القرآني ، وبيان الأسرار التي توحي الكلمة القرآنية ذات التقلبات الإعرابية وكذا الاشتقاقية والصرفية الأثر في التعليل لتلك الكلمة .
واللغة العربية لها طاقات معنوية وقوة دلالية عظمى ، تعاظمت ونمت بنزول القرآن الكريم ، فلها إمكانات واسعة في إثراء الدلالة وتفجير طاقاتها بمعانٍ متعددة ، تجاوز دلالاتها المباشرة

والصريحة لتسجل تلميحاً بالمعنى ، يتطلب إدراكه تدقيق النظر مع الإقرار بالإمكانات المتعددة في فهم النص ، وهي قادرة على التعبير بأنماط متعددة والإبانة بوجوه عديدة ، تعدد بالحرف أو الكلمة المفردة ، أو بالتركيب الذي يشمل التضاد والاشتراك ، وللغة آلية مهمة تمتلك التأثير ، والنص القرآني لا نهائي المعاني بما تحويه ألفاظه الكريمة من معانٍ ودلالات ، فالمعاني مكثفة فيه من حيث معانيها الأصيلة وما تشع به من معانٍ أُخر .

وبسبب ارتباط القرآن الكريم باللغة العربية كان لا بد من الرجوع إلى لسان العرب في تفسير القرآن الكريم ، والكشف عن معاني ألفاظه ، فأدرك العلماء أهمية ذلك وسخروا طاقاتهم وقدراتهم في سبيل الاعتناء بالمادة اللغوية في المراحل الأُولى للتفسير.

ومن الواضح أن أئمة التفسير التحليلي قد اعتمدوا في تفسير آيات القرآن الكريم وشرح ألفاظه على لغة العرب وأساليبهم ، فنراهم يبينون معاني الكلمة ومدلولاتها ، معتمدين في ذلك على لغة العرب ، وما تناقله أئمة اللغة في كتبهم المختلفة .

وللتفسير أيضاً مكان في كيان اللغة والنحو والتصريف وغير ذلك من فروع العربية ، ويبرز ذلك في ظهور التفاسير اللغوية للقرآن الكريم .. تلك التي أفاضت في بيان الدلالة اللفظية بعد بيان الأبنية والهيئات ، كما يلمسه القارئ في تفسير الإمام الرازي رحمه الله ت **٦٠٦ هـ** ، أو تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت **٧٤٥ هـ** وغيرهما .

وأهمية تحليل الألفاظ تحدث عنها الإمام السيوطي رحمه الله ، فقال : لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع . قال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب ... ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركاً ، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر .

والتحليل اللغوي معناه : أي تحليل الآية الكريمة إلى أبسط الوحدات اللغوية التي تتألف منها ، وهي :

أ) **الصوت اللغوي** : كماً وكيفاً ومخرجاً وصفةً ، وبيان ما يتمتع به من تأليف واستباق في الكلمة القرآنية عن طريق الموازنة بين القراءات العشر المتواترة لتأكيد ظاهرة الإعجاز الصوتي للقرآن .

ب) **الكلمة** : وما يتميز به من تكوين حكيم محكم ، وما تختزنه في داخلها من دلالة موحية ومعبرة .

ج) **الجملة** : وما تتمتع به من براعة البناء .

ويمكن الرجوع إلى كتب اللغة لاستخراج معنى الكلمة ، مثل :

١- العين – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت **١٧٠هـ** .

٢- الصحاح – إسماعيل بن حماد الجوهري ت **٣٩٣هـ** .

٣- تاج العروس من جواهر القاموس – السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت **١٢٠٥هـ** .

٤- أساس البلاغة – الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ت **٥٣٨ هـ** .

٥- الفرق بين الحروف الخمسة – ابن السيد البطليوسي ت **٤٤٤ هـ** .

٦- القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت **٨١٧هـ** .

٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي – أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ت **٧٧٠ هـ** .

٨- لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت **٧١١هـ** .

٩- مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت **٦٦٦ هـ** .

١٠- المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون .

كما يمكن الرجوع إلى كتب الفروق اللغوية لاستخراج معنى الكلمة ، مثل :

١- الفروق اللغوية – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت **٣٩٥هـ** .

٢- دقائق الفروق اللغوية في البَيان القُرآني – الدكتور محمد ياس خضر الدوري – أطروحة دكتوراه مجازة من جامعة بغداد – كلية التربية (**ابن رشد**) – **٢٠٠٥م** .

كما يمكن الرجوع إلى كتب غريب القرآن ، مثل :

١- المفردات في غريب القرآن – أبو القاسم الحُسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت **٥٠٢ هـ** .

٢- غريب القرآن – لأبي محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة ت **٢٧٦هـ** .

٣- غريب القرآن – لأبي بكر محمد بن عبد العزيز السجستاني ت ٣٣٠ هـ .

٤- بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – الإمام علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان المارديني ابن التركماني ت ٥٧٠ هـ .

٥- تذكرة الأريب في تفسير الغريب – الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت ٥٩٧ هـ .

٦- كلمات القرآن تفسير وبيان – الشيخ حسنين محمد مخلوف .

ويمكن الرجوع إلى كتب معاني القرآن ، مثل :

١- معاني القرآن – لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧هـ .

٢- معاني القرآن وإعرابه – لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ت ٣١١هـ .

٣- معاني القرآن – لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ت ٣٣٨هـ .

ويمكن الرجوع كذلك إلى كتب الوجوه والنظائر لبيان معنى الكلمة ، مثل :

١- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم – هارون بن موسى .

٢- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم – مقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠ هـ .

٣- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز – الإمام الشيخ أبو عبد الله الحُسين بن محمد الدامغاني ت ٤٧٨ هـ .

ثانياً : المناسبة :

إذا عُلِمَ أن ترتيب سور القرآن العظيم ، وترتيب آياته إنما كان بتوقيف من الله اللطيف الحكيم الخبير ؛ إذا عُلِمَ ذلك فإننا يقيناً نعلم أن الله عز وجل ما قدم هذه السورة على تلك ، وما استفتح بهذه الآية هذه السورة ، وما ختم تلك السورة بكذا ، إلا لمناسبة ، قد تظهر حتى يعلمها المتدبر لكتاب الله تبارك وتعالى ، وقد تدق حتى لا تكاد تعلم ، أو لا تعلم على وجه اليقين أصلاً .

إن هذا العلم ليس توقيفياً ، بل يعتمد على اجتهاد المفسر ، ومبلغ درايته بعلوم العربية والبلاغة والشريعة ، وتذوقه للأساليب وأوجه بيانها ، ومبلغ رهافة حسه لإعجاز القرآن وأسراره في النظم واللفظ والمعنى .

وعلم المناسبات بين سور القرآن الكريم أو بين الآيات في السورة الواحدة من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم ، وتذوق لنظم القرآن الكريم وبيانه المعجز ، والى معايشة جو التنزيل ، وكثيراً ما تأتي إلى ذهن المفسر على شاكلة اشراقات فكرية أو روحية وقد عد بعض المفسرين أن نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو .

وفائدته يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء .

وقد عرف علم المناسبة عند علماء القرآن العظيم بأنه : عِلل ترتيب أجزائه بعضها ببعض . أو بعبارة أخرى : مناسبات القرآن العظيم هي : المعنى الذي يربط بين سوره وآياته ...

أو هو : معرفة مجموع الأُصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض ، أو : معرفة مجموع الأُصول الكلية والمسائل المتعلقة بالمعنى الذي يربط بين سور القرآن العظيم وآياته .

قال القاضي أبو بكر بن العربي المتوفى سنة **٥٤٣ هـ** في سراج المريدين :

ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة . ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناهُ إليه .

وقال الإمام الزركشي رحمه الله : وقال بعض مشايخنا المحققين ، وسماه السيوطي في الإتقان : الشيخ ولي الله الملوي : قد وهم من قال : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شئ عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم . وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له .

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله : علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه ، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول .

وقال الإمام الزركشي رحمه الله : واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ، ويعرف به قدر القائل فيما يقول .

وقال الأستاذ الدكتور نور الدين عتر : وقد أبدى العلماء الاهتمام بعلم المناسبات في القرآن الكريم واختلفوا فيه ، وسجلوه مفخرة لمن عُنِي به ...... وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون متقطعاً ، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم (١) ، وفوائده غزيرة .

وقال الإمام السيوطي رحمه الله : المناسبة علم شريف ، قل اعتناء المفسرين به لدقتهِ .

وقال الإمام البقاعي رحمه الله : وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب ، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين :

أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب .

والثاني : نظمها مع أُختها بالنظر إلى الترتيب .

والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً ، فان كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه ، وتحصل له عند سماعة روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره . وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز .

ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك ، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنها متنافرة ، فحصل له

---

(١) بل يرده ويشنع على من يشتغل به ، كالشوكاني ، حيث قال : (اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفو سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأُمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف ، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الانصاف ، ويتنزه عنها كلام البُلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف ، كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته) والكلام طويل ، ثم قال : (ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساماتها كثير من المحققين) . انظر : فتح القدير – الإمام الشوكاني ١ / ٩٤ .

من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط ، ربما شككه ذلك بكثير ولزلزل إيمانه وزحزح إيقانه ... إلى أن يقول : فإذا استعان بالله وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز والوثوق بأنه في الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى ... فانفتح له ذلك الباب ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار . رقص الفكر منه طرباً وشكروا لله استغراباً وعجباً ، وشاط لعظمة ذلك جنانه فرسخ من غير مرية إيمانه ..... الخ .

قال الأُستاذ الدكتور مصطفى مسلم : وعدم مراعاة علم المناسبات بين الآيات يوقع في بُعْد عن المعنى حتى في الآية الواحدة .

ثم يضيف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم قوله : ونحن نسلم أن بعض العلماء الباحثين في وجوه المناسبات قد تكلفوا أحياناً في استخراج وجه المناسبة ، ولكن تكلفهم هذا لا ينبغي أن يكون ذريعة لرد الوجوه المعقولة المقبولة التي ذكرها الآخرون ، إننا نسلم أن القرآن قد أُنزل في فترات متباعدة خلال ثلاثة وعشرين عاماً مدة نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونؤمن إيماناً جازماً أن ترتيب الآيات في السور كان بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتبة الوحي ، ولم يكن لأحد رأي واجتهاد في ذلك .

ونقول إن هذا الترتيب الموحى به لم يكن جزافاً ولا اعتباطاً أو عبثاً وننزه كلام الباري سبحانه وتعالى عن كل ذلك .

كما نقول إن القول بوجود المناسبات أمر يحتمه الاعتقاد بتنزيه كلام الله سبحانه وتعالى عن الفوضى والتناقض : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

وعلى الباحث أن يبذل قصارى جهده للتعرف على وجه المناسبة بين الآيات ، فان ظهر له شئ من ذلك فذلك نعمة من الله تعالى وفضل عليه ، وله أن يقول به ويظهره خدمة لكتاب الله تعالى ، وان خفي عليه وجه المناسبة فعليه أن يمسك ولا يتكلف ،

---

(١) سورة النساء – الآية : ٨٢ .

وينسب علم ما خفي عليه إلى منزل الكتاب الذي أمر بترتيبه على هذا الشكل ، ولا يدرك أسرار كتاب الله كلها أحد من البشر .

فضل علم المناسبات :

لعل مما يؤكد جواز تطلب المناسبات في القرآن العظيم : الوقوف على فضله وأهميته ، ويمكن إيراد ذلك على وجه الاختصار في النقاط التالية :

١- أن في هذا العلم إبرازاً لجانب من أسرار القرآن العظيم ، وصورة من إعجازه .

٢- أن في هذا العلم آية من آيات صدق المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وأن هذا القرآن كتاب الله من لدن لطيف حكيم خبير ، إذ من المعلوم أن القرآن العظيم كان ينزل منجماً مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة ، وقد تلقى الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترتيب آيات القرآن العظيم وسوره ، ومعلوم أن هذا الترتيب الحاصل بين سور القرآن العظيم وآياته ليس في مقدور بشر ، مهما كان عقله ومهما بلغت فصاحته وبيانه ، فكان في ذلك آية على ثبوت نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

٣- أن في إظهار المناسبات في السور والآيات ما يُساعد على فهم النص القرآني ويبين معناه .

٤- أن طلب المناسبات إعانة على الحفظ ، وامتثال لأمر الله عز وجل ، حيث قال تبارك وتعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (١) .

٥- أن طلب المناسبات فيه تحصيل الأجر والثواب من الله عز وجل ، إذ تحصل فيه قراءة القرآن العظيم ، فيحصل أجر قراءة القرآن العظيم .

المفسرون الذين أوردوا المناسبة في تفاسيرهم :

من المكثرين في إيراد المناسبات بين الآيات الإمام فخر الدين الرازي ت **٦٠٦ هـ** في تفسيره الكبير المسمى بـ : { **مفاتيح الغيب** } .

وقد أفرده بالتصنيف كذلك الأستاذ أبو جعفر بن الزبير الأندلسي المتوفى سنة **٨٠٧ هـ** في كتابه : { **البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن** } .

---

(١) سورة ص – الآية : ٢٩ .

وقد خص الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ في كتابه : { **البرهان في علوم القرآن** } فصلاً خاصاً تحت عنوان : { **النوع الثاني** } معرفة المناسبات بين الآيات ، تحدث فيه عن أهمية هذا العلم وضرب أمثلة على المناسبات بين السور ، وبين الآيات في السورة الواحدة .

ومن أوسع المراجع في هذا العلم كتاب : { **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** } لبرهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ ، حيث ذكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم سورة سورة . ويقع كتابه في اثنين وعشرين جزءاً وقد طبع في الهند .

وألف الإمام السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ كتاباً خاصاً سماه : { **تناسق الدرر في تناسب السور** } تحدث فيه عن أهمية علم المناسبات ، وذكر وجوهاً للمناسبات بين سور القرآن الكريم .

كما خصص النوع الثاني والستين من كتابه { **الإتقان في علوم القرآن** } للحديث عن مناسبات الآيات والسور ، ذكر فيه أغلب ما ذكره الزركشي في البرهان ، وزاد عليه في الأمثلة .

ومن العلماء المعاصرين الذين كتبوا في علم المناسبات الشيخ عبد الله محمد الصديق الغُماري ، كتب كتاباً سماه { **جواهر البيان في تناسب سور القرآن** } ذكر فيه وجه المناسبة بين سور القرآن سورة سورة .

كما تحدث الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه : { **النبأ العظيم** } عن المناسبات بين آيات سورة البقرة .

ويدرس الباحث مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ، والمناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها ، وأما المناسبة بين مقاصد السورة الفرعية وبين آيها فإنها تدرس في موضعها ، والهدف من هذا المبحث التأكيد على تناسب السور والآيات .

ثالثاً: أسباب النزول:

إن الدارس المتمعن للأدب لا يستطيع أن يحكم على ظاهرة من الظواهر إلا إذا عرف الأسباب والمقدمات التي أدت إلى نشوء تلك الظاهرة . وان الدارس لقصيدة من القصائد لا يستطيع أن يدرسها دراسة حقة إلا إذا وقف على الأسباب التي دعت الشاعر إلى نظم

تلك القصيدة ، وكذلك الأمر في كل بحث من البحوث ، فانه لا يستقيم ولا يتضح إلا إذا فصل فيه القول من مبتدئه إلى منتهاه .

ودراسة القرآن تشبه دراسة كل الموضوعات الأُخرى ، إذ لا تستقيم حتى تُعرف المبادئ الأُولى للنص ، ويُوقَف على الأسباب التي دعت إلى نزول هذه الآيات ، أو السورة .

لهذا عكف العلماء على معرفة أسباب نزول كل آية معرفة دقيقة موثوقة ، ليتمكنوا من تفسيرها التفسير الصحيح ، ولينطلقوا إلى استخلاص الأحكام الشرعية على أساس ثابت مكين .

إن أسباب النزول لا يمكن أن تُدرك بالرأي ، ولا بد فيها من الرواية الصحيحة والسماع ، ممن شاهدوا التنزيل ، أو وقفوا على الأسباب ، وبحثوا فيها من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن اكتسبوا علومهم على أيدي العلماء الموثوقين . ويُعتمد في معرفة سبب النزول على { **النقل الصحيح** } ، فإذا صرح الراوي بلفظ { **السبب** } فهو نص صريح فيه ، كقول الراوي : سبب نزول الآية : كذا وكذا .

وكذلك إذا أُتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول ، كقوله : حدث كذا ، أو سُئِلَ النبي عليه السلام عن كذا فنزلت ... فهذا نص صريح في سبب النزول أيضاً . وقد لا تكون الصيغة صريحة في ذكر السبب ، كقولهم : { **نزلت هذه الآية في كذا ...** } .
فقد يراد منه سبب النزول ، وقد يراد ما تضمنته الآية من أحكام ، فيكون مثل قوله : عني بهذه الآية كذا ... وعلم أسباب النزول يمكن تعريفه كما عرفه الإمام السيوطي رحمه الله قائلاً : أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه .

وعرفه الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله ، فقال : ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه .

وعرف كذلك بأنه : ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال .

أو هو : معرفة ما نزلت الآية بسببه متضمنة له أو مجيبة عنه ، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه .

ويمكن تعريفه كذلك بأنه : علم يُبحث فيه عن أسباب نزول آية أو سورة ، ووقتها ومكانها وغير ذلك ، فهو فرع من فروع علم التفسير ، والغرض منه ضبط تلك الأُمور .

وقد بين العلماء أن المفسر ليس بغنى عن معرفة أسباب النزول ، التي فيها : بيان المجمل ، وإيضاح الخفي والموجز ، ولذلك ولكثرة فوائدها عني كثير من العلماء بإفراد التأليف في هذا العلم . وقد ذكر الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد : إن ذكر أسباب النزول في تفسير الآية مهم جداً ؛ لأن القارئ يستطيع أن يفهم كلام الله في ضوئها وكأنه يعيش في المجتمع الذي نزلت فيه تلكم الآيات الكريمة .

يقول الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن .

وسبب النزول مهم في معرفة معنى الآية ، وفي ذلك يقول الشيخ أبو الفتح القُشيري رحمه الله : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز ، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا .

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله : معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية ؛ فان العلم بالسبب يورث العلم بالمُسبب .

فوائد معرفة أسباب النزول :

لأسباب النزول فوائد عدة يمكن إجمالها بما يلي :

١- معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل ، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن ، أما المؤمن فيزداد إيماناً على إيمانه ، وأما الكافر فتسوقه تلك الحِكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفاً حين يعلم أن التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان لا الاستبداد والتحكم والطغيان .

٢- الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها ، قال الواحدي : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها .

٣- تخصيص الحكم بالسبب ، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .

٤- معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية ، أو ورد مخصصاً لها . وذلك لقيام الإجماع أن حكم النص باقٍ قطعاً ، فيكون التخصيص قاصراً على ما سواه .

٥- معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين ؛ حتى لا يشتبه بغيره ؛ فيتهم البريء ويُبرأ المريب .

٦- تيسير الحفظ وتسهيل الفهم ، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها .

ولأهمية سبب النزول في معرفة تفسير الآية القرآنية اعتمدها المفسرون في تفاسيرهم التحليلية (وليس من شك في أن الوقوف على أسباب النزول يُعد من أهم قواعد التفسير الشفاهي لما له من دور في استحضار الجو المناسب لفهم السورة أو بعض النصوص ؛ وذلك لميل النفس الإنسانية إلى معرفة الأخبار وولهها بالقصص الذي يستمد وجوده من الوقائع الحقيقية التي سجلها الوحي واعتنى ببعض دقائقها لما لها من أثر في حياة المجتمع الإسلامي الناشئ يومئذٍ والمجتمع المنتظر بعد ذلك .

ويمكن هنا الرجوع إلى كتب أسباب النزول ، مثل :

١- أسباب نزول القرآن – الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ت **٤٦٨ هـ** .

٢- أسباب النزول والقصص الفرقانية – الإمام محمد بن أسعد العراقي ت **٥٦٧ هـ** .

٣- العُجَاب في بيان الأسباب – الإمام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ت **٨٥٢ هـ** .

٤- لُباب النقول في أسباب النزول – الإمام جلال الدين السيوطي ت **٩١١هـ** .

٥- أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين – الأستاذ عبد الفتاح القاضي .

٦- الصحيح المُسند من أسباب النزول – الشيخ مقبل بن هادي الوادعي .

رابعاً : وجوه القراءات :

القراءات عرفها الإمام ابن الجزري رحمه الله بأنها : العلم بكيفية أداء كلمات القرآن ، واختلافها معزواً لناقله .

وعرفها الدمياطي بقوله : هي علم يُعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله سبحانه ، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيأة النطق والإبدال ، وغيره من حيث السماع .

وتعريف الدمياطي أكثر دقة من تعريف ابن الجزري حيث بين فيه اختلاف الناقلين عن الرسول من حيث الحذف والإثبات والتحريك والتسكين ومواضع الفصل والوصل ، وما يعتري الحروف من قلب وإبدال .

ولقد اهتم المفسرون بعلم القراءات القرآنية في تفاسيرهم وتأثروا بها ، لما فيها من أهمية كبيرة في معرفة النطق الصحيح للقرآن الكريم وارتباط معنى الآية بها ارتباطاً تاماً يتغير بتغيرها .

فالقراءات القرآنية تعطي معاني جديدة في بيان معنى المفردة في سياق الآية الكريمة ، فالنطق دائماً ينسجم مع المعنى الذي يفهمه القارئ ، ويستحسن القراءة اعتماداً على هذا الاعتبار ، فبعض القراءات يتعدد فيها المعنى ويتسع ، فكأن كل قراءة تعني آية جديدة .

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : كل قراءة مع القراءات الأُخرى بمنزلة الآية مع الآية ، يجب الإيمان بها ، وإتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً .

وقد ذكر الإمام الزركشي رحمه الله : أن معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ هو فن جليل وبه تُعرف جلالة المعاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتباً ، وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجحاً يترجح بها بعض الوجوه المحتملة على بعض .

إن في القراءات القرآنية تتجلى وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وتبرز سمو بلاغته ، علماً أن اشتماله على القراءات المتعددة ميزة لا نظير لها في الكتب السماوية السابقة .

كما أن القراءة لها أثرها البين في بيان المعنى الكامن في الآية ، ثم في توجيه المعنى للتفسير التحليلي ، فتعدد القراءات يزيد ثراء المعاني ، ويوسع ادراكات القارئ ، وبالتالي ينمي ذهنه في اختيار القراءة التي تنسجم مع معنى النص ، ومع الظروف المحيطة به ، يقول الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله : على أنه لا مانع من أن يكون مجئ ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى ، ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني .

وعليه فان هذا العلم بمثابة المصدر المساعد مع باقي مصادر علوم القرآن الكريم الأُخرى ، والمنهج الذي سار عليه المفسرون خير شاهد على ذلك ، ومن تفسير القرآن حمل بعض القراءات على غيرها ، فالقراءات مرجع مهم من مراجع التفسير التحليلي ، لذا على الباحث أن يجعلها من اهتماماته للوصول إلى المعنى المراد ، مع أخذ النظر بما ذكره الزركشي : وإنما كان كذلك لأن القراءة سنة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه ، وينبغي التنبيه على شئ وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأُخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأُخرى وهذا غير مرضي لأن كلتيهما متواترة ، على أن المراد في هذا المقام تفصيل القول في صحة قراءة ورد أُخرى .

فعلى الباحث في التفسير التحليلي استخراج القراءات من الآيات القرآنية ، ثم بعد ذلك توجيهها ، فأهم شئ يقوم به توجيه القراءة (مع تمحيص الصحيح من الشاذ منها ، وهو مبحث يساعد في بيان تنوع المعاني القرآنية) .

والقراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها فإذا ثبتت لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، وتنوع القراءات بمعنى أو بمنزلة تعدد الآيات والمقصود بها إنه إن كان لكل قراءة معنى يغاير معنى القراءة الأُخرى وهما في موضع واحد ، ولم يمكن اجتماعهما في شئ واحد ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد ، فيهما بمنزلة الاثنين .

ومن كتب القراءات القرآنية التي يمكن الرجوع إليها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١- التذكرة في القراءات – الشيخ أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون المقرئ ت **٣٩٩هـ** .

٢- السبعة في القراءات – ابن مجاهد ت **٣٢٤هـ** .

٣- الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها – أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت **٤٣٧هـ** .

٤- التيسير في القراءات السبع – الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ت **٤٤٤هـ** .

٥- العنوان في القراءات السبع – الإمام أبو طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي ت **٤٥٥ هـ** .

٦- الكافي في القراءات السبع – الإمام أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي ت **٤٧٦هـ** .

٧- المستنير في القراءات العشر – الإمام أبو سوار البغدادي ت **٤٩٦هـ** .

٨- الكفاية الكبرى في القراءات العشر – الإمام أبو العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي القلانسي ت **٥٢١هـ** .

٩- الكنز في القراءات العشر – الإمام العلامة الشيخ عبد المؤمن ابن الوجيه الواسطي ت **٧٤٠هـ** .

١٠- النشر في القراءات العشر – الإمام الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ت **٨٣٣هـ** .

١١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر – الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء ت **١١١٧هـ** .

١٢- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة – الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضي .

١٣- معجم القراءات القرآنية – أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم .

<u>ويمكن الرجوع كذلك إلى كتب حجج القراءات ، مثل :</u>

١- الحجة في القراءات السبع – الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ت **٤٤٤هـ** .

<u>ويمكن كذلك بيان القراءات الشاذة بالرجوع إلى الكتب التي اهتمت ببيان شواذ القراءات القرآنية ، مثل :</u>

١- مختصر في شواذ القرآن (**القراءات**) من كتاب : البديع لابن خالويه .

٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – ابن جني ت **٣٩٢هـ** .

<u>ويمكن الرجوع إلى كتب علل القراءات ، مثل :</u>

١- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات – الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي الملقب بجامع العلوم النحوي ت **٥٤٣هـ** .

٢- الحجة في علل القراءات السبع – أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي **ت ٣٧٧هـ** .

خامساً : وجوه الإعراب :

إن الإعراب لا يقوم إلا بعد الإحاطة بالمعنى والوقوف على التفسير . وإن ننس لا ننسى أن أئمة المحققين – قراء ومفسرين ، فقهاء وأصوليين – كانوا على مبلغ من العلم باللغة العربية عظيم ، وعلى حظ من النشاط اللغوي وافر ، اقتضتهم إياه فنونهم ، فهم إنما يتعاملون مع أبلغ نصوص العربية وأسماها وأفصحها .. فلا مفر من التبحر في هذه العربية بقدر لا يقل عما كان عليه رجال درسوا في اللغة وبحثوا في أوضاعها متخصصين . وإذا كان القرآن وحده وراء اندفاع أئمة القراء إلى الوقوف على حقائق اللغة وأوضاعها ، فان القرآن مع الحديث كانا وراء المباحث اللغوية التي عمت ميادين التفسير والفقه والأصول .. تلك التي كانت من العمق والإفاضة – ولا سيما مباحث الأصوليين – على درجة تنتزع الإكبار والإعجاب ... .

قال ابن السراج الشنتريني : إن الواجب على من عرف أنه مخاطب بالتنزيل، مأمور بفهم كلام الرسول غير معذور بالجهل بمعناهما ، غير مسامح في ترك مقتضاهما أن يتقدم فيتعلم اللسان الذي أُنزل به القرآن ، حتى يفهم كتاب الله ، وحديث رسول الله ، إذ لا سبيل إلى فهمها دون معرفة الإعراب ، وتمييز الخطأ من الصواب ، لأن الإعراب وضع للفرق بين المعاني ... فلو ذهب الإعراب لاختلطت المعاني ، ولم يتميز بعضها من بعض ، وتعذر على المخاطب فهم ما أُريد منه ، فوجب لذلك تعلم هذا العلم ، إذ هو أوكد أسباب الفهم ، فاعرف ذلك ولا تحد عنه ، فانه علم السلف الذين استنبطوا به الأحكام وعرفوا به الحلال والحرام .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمة الله : ومن أراد أن يتكلم في تفسير القرآن ، وتأويل الأخبار ، ويصيب في كلامه ، فيجب عليه أولاً : تحصيل علم اللغة والتبحر في فن النحو ، والرسوخ في ميدان الإعراب ، والتصرف في أصناف التصريف .... .

والمقصود من وجوه الإعراب هو (**إعراب المواضع المؤثرة في المعنى**) ، وليست إعراب كل كلمة في النص ، من أمثال المواقع المؤثرة في المعنى إن كانت الكلمة منصوبة ، فهل هي حال أو استثناء أو تمييز ، أم من المفاعيل ، أي مفعول به أو فيه { **ظرف زمان أو مكان** } أو له أو معه ، أم معطوف أو صفة أو بدل ، أو اسم إن أو خبر كان .

وان كانت الكلمة مرفوعة فهل هي مبتدأ أو خبر أو فاعل أو نائب فاعل ، أو اسم كان أو خبر إن . كل هذا وغيره يؤثر في المعنى ويبرز جمال النص القرآني .

قال الإمام السيوطي رحمه الله : لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، فلا بُد من اعتباره .

وعند التفسير باللغة والنظر في الإعراب يجب مراعاة ما يلي :

١- لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل على مجرد الاحتمال النحوي أو اللغوي ، ولا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به ، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم .

٢- ينبغي أن تُجتَنَب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة عند تفسير القرآن باللغة وإعرابه .

٣- معرفة تصريف اللفظة وإرجاعها إلى أصلها يعين في بيان المعنى الراجح من الأقوال ورد المرجوح .

٤- لا يجوز تحريف معاني القرآن من أجل المحافظة على قاعدة نحوية ، فهدم مائة من أمثالها أسهل من تحريف معنى الآية .

٥- تُجتنب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة ؛ لأن القرآن نزل بالأفصح من لغة قُريش .

٦- ينبغي تجنب الأعاريب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام .

وقد كثر وقوع أهل البدع في هذا الأمر حيث أنهم حملوا نصوصه ما لا يحتمل ، وركبوا الصعب من أجل حمل نصوص القرآن على معانٍ تؤيد باطلهم ، كما وقع في ذلك أقوام بسبب التعصب المذهبي .

ويمكن الرجوع إلى الكتب الآتية على سبيل التوضيح لا الحصر لأستخراج الوجوه الإعرابية ، وهي كما يلي :

١- معاني القرآن وإعرابه – الزجاج ت **٣١١هـ** .

٢- البحر المحيط في التفسير – الإمام أبو حيان محمد بن يوسف بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ت **٧٤٥ هـ** .

٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ت **٧٥٦ هـ** .

٤- مشكل إعراب القرآن – مكي بن أبي طالب القيسي ت **٤٣٧هـ** .

٥- البيان في غريب إعراب القرآن – أبو البركات بن الأنباري ت **٥٧٧هـ** .

٦- التبيان في إعراب القرآن – أبو البقاء العكبري ت **٦١٦هـ** .

٧- إملاء ما من به الرحمن – أبو البقاء العكبري ت **٦١٦هـ** .

٨- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات – الإمام نور الدين أبو الحسين علي بن الحسين الباقولي الملقب بجامع العلوم النحوي ت **٥٤٣هـ**.

٩- التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ت **١٣٩٣هـ** .

سادساً : الوجوه البلاغية :

البلاغة هي إحدى المستويات التي يتوصل المفسر بواسطتها إلى فهم النص وتحديد معناه والغوص في أعماقه ، وبلاغة القرآن الكريم هي إحدى وجوه إعجازه لتكون دالة مؤدية إلى فهم مراد الله تعالى ، لذا كان من شروط المفسر أن يكون عالماً بأسرار بلاغة القرآن ، فإنها تثريه بأصول الكلام العربي وطرق وضعه في سياقاته المتعددة .

فعلى من يريد فهم كلامه تعالى أن يتعاطى علوم البلاغة والبحث عن أسرارها ليصل إلى مفهوم النص على حقيقته ، يقول عبد القاهر الجرجاني في أهمية البلاغة في تفسير المعنى : (ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبداً في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ، ويمنعوا أنفسهم العلم بموضوع البلاغة وبمكان الشرف) .

(فعلى المفسر أن يكون على قدر من العلم ، وأن لا يفسر الكلام على ظاهره ، بل أن يدرك ما وراء المعنى ، ويتأمل مسائل المجاز والتمثيل وغيرها ليستطيع فهم النص الإلهي على حقيقته) .

ولقد خص سيد الرسل صلى الله عليه وسلم بكمال الفصاحة بين البدو والحضر ، ونطق بجوامع الكلم فأعجز بلغاء ربيعة ومضر ، وأنزل عليه الكتاب المفحم بتحديه مصاقع بلغاء الأعراب ، وأتاه بحكمته أسرار البلاغة وفصل الخطاب ، ومنحه الأسلوب الحكيم في جوامع كلمه ، وخص السعادة الأبدية لمقتفي آثاره وحكمه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه جواهر البلاغة الذين نظموا لآلئ البديع في عقود الإيجاز والإطناب . فالبلاغة فن من فنون القول وطريق من طرق تحسينه وتجميله ، وهي العلم بجماليات الكلام حتى يكون أكثر قبولاً عند المستمع ، وأعمق تأثيراً لديه ، وأشد حظوة عنده ، مما يؤدي إلى إقناعه ، وبها تستثار عاطفة القائل .

والبلاغة أصل هام من أصول النقد ومعيار ذو شأن من معاييره التي يعتمد عليها الناقد في الدرس والتحليل ، والتحسين والتقبيح .

ودراسة البلاغة تعني الوقوف على خصائص الأسلوب العربي ، وتضع اليد على غنى العربية بمناحي القول وأفانين الأداء .

ثم إن للبلاغة دوراً هاماً في الوقوف على لطائف القرآن الكريم ومعرفة أسراره ، لذا لا يجوز لمفسر القرآن أن يفسره ما لم يبرع في علمين : { **علم المعاني وعلم البيان** } .

(والبلاغة تؤدي إلى تكثير المعنى عن طريق توليدها معنى عن معنى ، فمثلاً عن طريق المجاز تتولد معانٍ أُخر غير المعنى الأصلي { **المعنى الحقيقي** } ومثله كمثل من يأخذ قطعاً من الذهب والفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة ، كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم ، أو أن يأخذ كسراً من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب ويخرجها لك سِواراً أو خلْخالاً . وان أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت من بعض ، كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار ، فالمفهومُ من الجميع مفهوم واحد . وهذه من سمات البلاغة ، فهي تتميز بكثرة المعاني مع قلة الألفاظ ، قال الإمام علي رضي الله

عنه : { ما رأيتُ بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة }) ،(فالبليغ كلما أوجز في كلامه وتوسع في معانيه كان أغزر علماً وأكثر نفعاً) .

والقضايا البلاغية تبرز أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، وعلوم البلاغة ثلاثة : المعاني والبيان والبديع .

قال الإمام السيوطي رحمه الله : (لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام) .

(والهدف المشترك لهذه العلوم هو الكشف عن الإعجاز القرآني ، والذي يكمن في رأينا في براعة الجملة القرآنية) .

قال الإمام السيوطي رحمه الله : (هذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ؛ وهي من أعظم أركان المفسر ؛ لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم) .

ويمكن الرجوع إلى التفاسير التي ركزت على الناحية البلاغية ، مثل :

١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ت **٥٣٨ هـ** .

٢- التفسير القيم – الإمام ابن القيم ت **٧٥١هـ** .

٣- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل – الإمام الحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ت **٧٠٨هـ** .

٤- على طريق التفسير البياني للقرآن الكريم – الأُستاذ الدكتور فاضل السامرائي .

٥- التفسير البياني للقرآن الكريم – الدكتورة عائشة عبد الرحمن (**بنت الشاطيء**) .

سابعاً : المعنى العام :

ويُقصَد بالمعنى العام المعنى الإجمالي للآية القرآنية ، (المستخلص من كتب التفسير والمدعم بالسنة الصحيحة والآثار الثابتة ، وذلك لكل مقصد فرعي من مقاصد السورة لنصل في النهاية إلى فهم السورة كلها) ومعنى هذا (تقديم المعنى المصفى ، المبرأ من التناقض ، والمستفاد من خُلاصة كتب التفسير بالمأثور ، المدعم بالسنة

الصحيحة ، والأثر الثابت ، بعد تنقيته من الشوائب والزوائد والإسرائيليات ، ورديء الأقوال ، وسوء التأويل حتى يؤدي دوره الحقيقي المنوط به وهو الهداية إلى أقوم سبيل) .
فيجب على صاحب التفسير التحليلي أن يتعرض إلى تفسير الآية المراد تفسيرها بالرجوع إلى تفاسير عدة ، ويجب أن لا يقتصر على مجموعة واحدة من التفاسير وتعود لمدرسة واحدة كأن تكون تفاسير أثرية أو عقلية أو فقهية أو ..... فيجب أن ينوع صاحب التفسير في تفسيره للآية القرآنية بالمدارس التفسيرية كي يخرج لنا تفسيراً جامعاً مانعاً متناولاً لكل شاردة وواردة .

والمدارس التفسيرية متنوعة ، مثل :

١- مدرسة التفسير بالمأثور .

ويمكن الرجوع فيها إلى التفاسير التي اتبعت المنهج الأثري في تفسير القرآن ، مثل :

أ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت **٣١٠هـ** .

ب) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – الإمام ابن عطية الأندلسي ت **٥٤٦هـ** .

ج) تفسير القرآن العظيم – الإمام أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ت **٧٧٤ هـ** .

د) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – عبد الرحمن الثعالبي ت **٨٧٦ هـ** .

هـ) معالم التنزيل – الإمام أبو محمد الحُسين بن مسعود البغوي ت **٥١٦هـ** .

و) زاد المسير في علم التفسير – الإمام ابن الجوزي .

٢- مدرسة التفسير بالرأي .

ويمكن الرجوع فيها إلى التفاسير التالية ، مثل :

أ) التفسير الكبير أو (**مفاتيح الغيب**) – الإمام فخر الدين الرازي ت **٦٠٦ هـ** .

ب) أنوار التنزيل وأسرار التأويل – القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ت **٦٨٥هـ** أو **٦٩١هـ** .

ج) مدارك التنزيل وحقائق التأويل – الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي ت **٧٠١هـ** .

د) غرائب القرآن ورغائب الفرقان – النيسابوري ت ٧٢٨هـ .

هـ) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – الإمام أبو السعود ت ٩٨٢ هـ .

و) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – أبو الثناء الآلوسي ت ١٢٧٠ هـ .

ومن خلال رجوع المفسر إلى هذه التفاسير التي تمثل مدارس متنوعة يستطيع أن يأتينا بتفسير مقبول للآية القرآنية ، حيث يقوم بالجمع بين المأثور والمعقول لاستخراج تفسيراً مقبولاً لقول الله تعالى .

فالمعنى العام ساحة طويلة عريضة يستطيع أن يسير فيها المفسر بكل ثقة وتوكل ليبرز لنا الجهد التفسيري الذي بذله من سبقه في توضيح مراد الله سبحانه وتعالى في كتابه .

ثامناً : ما يُفادُ من الآية أو النص القرآني :

قد يكون ما يتناوله الباحث في التفسير التحليلي آية واحدة أو مجموعة من الآيات التي يريد أن يستخرج منها الأُمور المستفادة ، ولهذا اقتضى بنا الحال أن نقول ما يفاد من الآية أو النص القرآني وبمعنى آخر (استنباط الأحكام والهِدايات) ، على (أن تكون الهداية مستمدة من واقع المحتوى القرآني نفسه العقيدة – الشريعة – الأخلاق لكي يتمكن السالكون إلى رحاب رب العالمين من استصحاب الأنفع وهم يرتحلون من سياق ويحلون بسياق آخر) .

(والفوائد المستنبطة من النص القرآني المدروس تتنوع من أحكام عقائدية وفقهية وتربوية والأحكام اللغوية والعلمية ، وذلك بالاستنباط الدقيق من النص في مختلف العلوم والفنون الشرعية واللغوية والتربوية والعلمية) .

وعموماً القضايا المستنبطة والمفادة من النص القرآني متنوعة ، فقد تكون القضية المفادة فقهية بحتة والتي يتوجب فيها الرجوع إلى كتب أحكام القرآن ، فيرجع مثلاً إلى :

١- أحكام القرآن – الإمام محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤هـ .

٢- أحكام القرآن – الإمام الجصاص الحنفي ت ٣٧٠هـ .

٣- أحكام القرآن – الإمام الكيا الهراسي الشافعي ت ٥٠٤هـ .

٤- أحكام القرآن – الإمام ابن العربي المالكي ت **٥٤٣هـ** .

٥- الجامع لأحكام القرآن – الإمام القرطبي ت **٦٣١هـ** .

ولأستخراج الفوائد من الآيات يمكن الرجوع إلى التفاسير الآتية :

١- التفسير التربوي للقرآن الكريم – أنور الباز .

٢- الأساس في التفسير – سعيد حوى .

٣- في ظلال القرآن – سيد قطب .

٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – الشيخ أبو بكر جابر الجزائري .

٥- صفوة التفاسير – الشيخ محمد علي الصابوني .

٦- التفسير الوسيط – الأُستاذ الدكتور وهبة الزحيلي .

وغيرها من التفاسير التي اهتمت بذكر الفوائد المستقاة من الآيات القرآنية .

ويمكن كذلك الرجوع إلى المؤلفات التي كتبت كتفسيرات لبعض السور القرآنية ، كدراسة الشيخ عبد الحميد محمود طهماز للسور القرآنية ، ودراسة الشيخ محمد الغزالي كذلك لسور القرآن الكريم في كتابه : التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم .

ودراسة الدكتور عمرو خالد في كتابه : خواطر قرآنية في أهداف السور القرآنية ، حيث تناول أهداف السور القرآنية .

عموماً الفوائد القرآنية المستفادة من الآيات أو الآية الواحدة كثيرة ، فقد تكون الفائدة علمية وهنا يمكن الرجوع فيها إلى كتب التفسير العلمي للقرآن الكريم ، أو موسوعات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، مثل موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للأُستاذ الدكتور زغلول النجار .

وقد تكون الفوائد المستنبطة من الآية تتعلق بقصة نبي من الأنبياء ، وهنا يمكن الرجوع إلى الكتب الآتية :

١- قصص الأنبياء – الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت **٧٧٤هـ** .

٢- المستفاد من قصص القرآن – الأُستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان .

٣- قصص القرآن – حامد أحمد الطاهر .

٤- قصص القرآن – الشيخ محمد أحمد جاد المولى .

٥- قصص القرآن دروس وعبر – سعد يوسف أبو عزيز .

٦- قصص الأنبياء – عمرو خالد .

ويمكن تسجيل هذه الفوائد على شكل نقاط الواحدة تلو الأُخرى ، أو على شرح مفصل على حسب ما يراه الباحث في دراسته .

التفسير التحليلي في العَصر الحَديث :

(لم تتوقف مسيرة هذا العلم، ولم يتوقف تطوره أيضاً نتيجة تطور الحياة بصورة عامة، والدراسات العلمية والأكاديمية، فقد أُضيفت إلى الخطوات التي كانت متبعة خطوات أخرى أملتها ظروف الحياة، من مخترعات حديثة ومن بروز علوم عصرية متنوعة .

فقد كانت الخطوات السابقة تتركز حول الأُمور التالية :

الخطوة الأولى: بيان معاني المفردات القرآنية .

الخطوة الثانية: بيان أسباب النزول.

الخطوة الثالثة: بيان مناسبات الآيات والسور.

الخطوة الرابعة: بيان وجوه القراءات والإعراب.

الخطوة الخامسة: بيان الوجوه البلاغية، واللطائف في أسلوب القرآن.

الخطوة السادسة: بيان الأحكام الفقهية المستنبطة من الآية.

الخطوة السابعة: بيان المعنى العام للآية أو الآيات وشرح المعاني والدلالات.

هذه هي عمدة التفسير التحليلي، وقد تضاف إليها أَحياناً الكلام عن النسخ أو بعض الرقائق والآداب، وبعض القصص من الكتب السابقة وأمثال ذلك.

كما أود أن أُبين أن هذه الخطوات ليست واجبة الترتيب كما ذكرت أو أنها منهج الجميع، فنرى من يقتصر على بعضها، وكذلك نرى من يقدم بعضاً ويؤخر أُخرى، على حسب ما يراه المفسر مهماً في التفسير.

كما أنه لم تعنون أَحياناً هذه الخطوات، بل تمزج ويخلط بعضها ببعض، من دون تفصيل.

وفي العصر الحديث ظهرت هناك بعض الاهتمامات لهذا المنهج، سواء من حيث إضافة خطوات أُخرى دخلت هذا العلم، أو من حيث التبويب والترتيب، أو من حيث

الاستقصاء والإسهاب في كل الخطوات، حتى غدا هذا العلم أكثر تبويباً وتصنيفاً، وخاصةً في الدراسة الأكاديمية التي تتناول سوراً معينة، أو القرآن كله، أو بعض الآيات التي تختص بموضوع معين) .

فمن ناحية توسع الخطوات فقد أُضيفت إليها مثلاً:

١- (ما يستفاد من النص :

فالنص القرآني يحمل الكثير من الدلالات والمعاني والحقائق والإشارات، وليس هذا بعيداً عنه؛ فهو الذي يُعد في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، فلابد أن يحمل بين جنباته الكثير.

فإضافة إلى بيان ما تقدم من خطوات وبيان معنى الآية في سياق أسلوبها، يمكن أن تكون هناك دلالات أُخرى تفهم من ظاهر النص أو روحه، ولكي توظف هذه النصوص للإفادة منها في الحياة العملية، وتكون منبهة لقارئها، فقد يعطى ملخص الآية أو إيماءاتها، ولربما على صورة معالم واضحة ونقاط محددة.

وقد أُعطيَ لهذا الخطوة عدة أسماء، منها: هداية الآية أو الآيات، ومنها ما أُطلق عليه فوائد الآيات . وكثيراً ما يطلق عليه : ما ترشد إليه الآيات الكريمة ، وقد تكلمنا عن هذه النقطة في المبحث السابق ضمن المطلب الثامن .

٢- حِكمة التشريع أو فِقه الحياة والأحكام :

وهذا ما يُلائم عصرنا، حيث تتشوف كثير من نفوس البشر لبيان الحكمة من كثير من التشريعات الشرعية، لكي تطمئن قلوبهم، ويعلموا أن ما جاء في ديننا موافق للعقل وللعلم وللواقع، وذلك لانتشار الأفكار الكثيرة التي تزرع البلبلة في عقول النشيء وصدهم عن هذا الدين، بإثارة الشبهات التي تصب غالبها في أن هذا الدين لا يلائم عصرنا أو أنه بعيد عن الواقع والتطور العلمي. وهذه نجدها عند الصابوني مثلاً في روائع البيان ، أو عند الزحيلي في كتابه التفسير المنير.

٣- الإعجاز العلمي في النص القرآني :

هناك بعض الآيات قد تحمل إشارات إلى بعض العلوم والمكتشفات العصرية، كالعلوم التجريبية والفلكية، وإن كان القرآن ليس كتاب علم فلك أو كيمياء أو طب ، فهو يعالج الإنسان وبناءه النفسي والخلقي والفكري ويترك له البحث والتجربة في مجال العلم والبحث.

ولقد رأى العلماء أنه لا مانع من الانتفاع بما يكشفه العلم من نظريات وحقائق عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن، وتوسيع مدلول الآيات بتوضيح تلك الحقائق وتعميقها، من دون إخضاع القرآن لنظريات زعم أصحابها أنه قد استقام لها الاستدلال، وربما تكلفوا وتمحلوا وحملوا آياته ما لا تحتمل.

ولذا لا مانع من تسخير الحقائق العلمية في كشف مدلول الآية القرآنية، فاحتمال الخطأ هنا غير قائم، أما تفسير آية قرآنية بحقيقة علمية أو نظرية علمية محدودة المعالم لا يمكن أن نقطع بأن الآية تدل دلالة قطعية عليها، أو هي المقصود من معناها فقط، ولكن قد يقال إن هذا الاحتمال ضمن معنى الآية الكريمة، حتى لو تبين الخطأ فنقول هنا: كان الخطأ خطأ التفسير، وليس بطلاناً لمعنى القرآن الكريم في آية من آياته.

ولذا فمن المستحسن أن يفرد للآية خطوة مستقلة تتناول هذا الجانب بشروط وضوابط وضعها العلماء للإفادة منه في عصرنا الحاضر، حيث أصبح الاتجاه إلى قبول القضايا العلمية والتجريبية أكثر من كل قضية أُخرى قد تكون غيبية أو عدم إدراكها من الجميع، كفصاحة القرآن وبديع نظمه وأسلوبه المتميز، وكم أسلم من أُناسٍ في عصرنا الحاضر حينما رأوا تطابقاً ما بين المخترعات وما ورد من نصوص في القرآن الكريم.

٤- قضايا تاريخية قديمة أو مكتشفات آثارية أو عادات وأعراف كانت سائدة وقت نزول القرآن أو تاريخ السيرة النبوية :

كثير من الأحداث والعادات التي سبقت نزول القرآن قد تحدث عنها القرآن الكريم، أو مما وقع في عهد النبوة من أحداث تحتاج إلى تفصيل وبيان وافٍ ، لكي يفهم مدلول الآية على حقيقتها، ولربما كانت هناك إشارات إلى بعض القضايا تحتاج إلى معرفة تامة بتلك الوقائع لكي تتنزل الآيات على وفقها، وإلا كانت معرفتها إجمالية لا تعطي صورة واضحة لدى القارئ للقرآن الكريم، ولربما كانت وقت نزول القرآن مفهومة للجميع، بما عايشوا في ذلك من أحداث أو عادات وأعراف، أو تلك الوقائع في صدر الرسالة من غزوات وسرايا.

ولكن يشترط في كل ذلك التوثيق، ومعرفة تلك الحقيقة بالطرق العلمية الصحيحة، وأن لا يقبل الأقوال التي لا تستند على أدلة مقنعة أو معرفة تامة .

وإذا كان الأمر واضحاً بالنسبة لوقت نزول القرآن أنه يعتمد أقوال النقلة من الصحابة ، ومن ثم تمحيص الروايات عن طريق علم الجرح والتعديل لمعرفة الخبر الموثوق من غيره، فإننا قد نفتقد مثل هذا التوثيق بالنسبة للمسائل التاريخية المتقدمة على نزول القرآن، لذا يجب الحيطة والحذر في تلك الروايات وعرضها على أُصول علمية منضبطة كأن تعتمد الأُمور التي يجمع عليها نقلة التاريخ أو القضايا المتواترة، أو ما يؤيده المكتشفات الحديثة مثل علم الآثار وما يتصل به من دلائل تكون علمية، وليست من قبيل الخرافات أو الأساطير.

لقد ذكر القرآن الكريم الكثير من الأخبار عن الأقوام السابقة، وعن تواجدهم في البلدان، كما ذكر بعض الأحداث السابقة والحضارات المندثرة مثل النزاع بين فارس والروم فلا بأس بأن تجعل لكل ذلك خطوات مستقلة.

٥- الثقافات الإنسانية والاجتماعية المعاصرة كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وعلم التربية، وأُصول السياسة، وأُصول الإعلام، وأُسس الحضارة :

وهذه العلوم كانت لها جذور سابقة، ولكنها تطورت في العصر الحديث، وأخذت طابع الابتكار والتجربة أو الاستقلال كما أخذت جانب العمق في الطرح والتفكير.

ولا شك أن الكثير منها لها أُصول وجذور في القرآن الكريم، يقول السيوطي: اشتمل كتاب الله على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض ، وقال في موضع آخر: وقد احتوى على علوم أُخر من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة...

فلا بأس بتخصيص خطوة لمثل هذه العلوم، فهو يوسع أفقه العلمي والثقافي، ويساعده على إدراك المضامين والأبعاد والآفاق القرآنية التي تشير إلى هذه الميادين الثقافية، وفي القرآن حديث عن التاريخ والتغيير، والحضارة والاجتماع وعلم النفس.....

فما ورد من إشارات إلى مضامين هذه العلوم، على الباحث أن يستقصي ما يمكن تحليل هذه المعاني في ضوء المعطيات الثقافية الإنسانية المعاصرة، لكي ينقل هذه المعاني

ويسخر تلك العلوم لخدمة كتاب الله تعالى، زد على ذلك إلى ما قد يجده من حقائق ربما تصحح له بعض ما تقصر فيه البشرية أو تخطئ الطريق نحوه.

ولا مانع للمفسر من أن يستفيد من خبرات البشر في أي فن أو علم، ويكون ذلك خادماً للقرآن الكريم، وليس حاكماً عليه، أو متجاوزاً لمكانته وقداسته.

هذه أهم ما يمكن أن يضاف إلى منهج التحليل لتفسير القرآن لكريم، وقد تكون هناك خطوات قد تستجد حسب العطاء العلمي وتطور الحياة) .

هذه هي الخطوات التي يجب على الباحث السير فيها ، وأن لا ينتقل إلى الخطوة الأُخرى إلا بعد إكمال الأُولى ، وخلاصة ما سبق على النحو الآتي :

١- إن هذا المنهج هو الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله .
٢- تقسيم الآيات القرآنية وتجزئتها إلى وحدات موضوعية تحمل عناوين واضحة .
٣- تبيين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها ، ووجوه البلاغة فيها ، وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها .
٤- استنباط الأحكام واستخراجها من ثنايا الآيات القرآنية الكريمة .
٥- الابتعاد عن التعقيد في تفسير الآية .
٦- هذا المنهج هو الغالب على المؤلفات التفسيرية ، وأشهر أنواع التفسير وأهمها قديماً ، وقد ألف عليه المفسرون كتباً كثيرة كالإمام الطبري والخازن والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية والشوكاني وابن كثير وغيرهم .
٧- هذا المنهج التحليلي وجدناه في كتب التفسير الأثري والصوفي والفقهي والعلمي والأدبي والفلسفي .
٨- هذا المنهج يعد من أوسع المناهج التفسيرية وأكثرها شيوعاً واستعمالاً .
٩- يعد القرن الثالث الهجري من أشهر القرون التي شهدت توسعات في معاني الآيات القرآنية ، وقد أُلفت فيه كتب مستقلة في التفسير ، ولكن الإمام أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ يعد الرائد الأول في هذا الميدان ، وأوسع من سلك هذا الطريق ، وتناول التحليل لكل كلمة من القرآن في أغلب الوجوه العلمية .

١٠- (لقد أضاف العصر الحديث كثيراً من الزيادات ، وأسهم في توضيح النص القرآني بما ينسجم وطبيعة العصر الذي نعيشه ، وقد كان للاتجاهات الحديثة دور ريادي في نشر الوعي القرآني باستخدام أساليب اقناعية مثل التفسير العلمي ، أو ما أنتجته الثقافات الإنسانية المعاصرة) .

١١- (إن هذا المنهج يعد هو السائد على المناهج الأُخرى ، وهو القديم الجديد ، والذي يعطي للقارئ إحاطة كاملة بفهم النص القرآني ، بل ويتطلب منه أيضاً الإلمام بعلوم كثيرة ومتشعبة ، وبالتالي فان القرآن الكريم قد هيئ له من أسباب حفظه الكثير ، ولعل كثرة التفاسير واختلاف اتجاهاتها مما يشير إلى أحد أسباب الاهتمام بهذا الكتاب الخالد) .

الدراسة التطبيقية للتفسير التحليلي

مَلَكُ الموت في القرآن الكريم دراسة تحليلية

قال تعالى :﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[١] .

<u>اشتملت دراسة الآية على ستة خطوات :</u>

أولاً : التحليل اللغوي .

ثانياً : المناسبة .

ثالثاً : وجوه القراءات .

رابعاً : وجوه الإعراب .

خامساً : المعنى العام .

سادساً : ما يستفاد من الآية .

---

[١]) سورة السجدة – الآية : ١١ .

أولاً: التحليل اللغوي :

- **مَلَك** : يُطلق على الواحد وعلى الجمع ، ويجمع على ملائكة وملائك وهو مَفْعَل من الألوك ، قيل : أصله ملأك ثم خفف بحذف الهمزة ، وقيل : أصله مألك بتقديم الهمزة ثم قدمت اللام فقيل ملأك وتُركت الهمزة لكثرة الاستعمال فقيل ملك ، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك .

أما اشتقاقه فقيل هو مشتق من المُلك وهو القوة ، وقيل من الألوكة بمعنى الرسالة ، يقال : ألِكني إلى فلان بمعنى أرسلني إليه [١] .

قال الراغب الأصفهاني رحمهُ الله :

(وأما المَلَكُ فالنحويونَ جعلوه من لفظِ الملائكةِ ، وجُعِلَ الميمُ فيه زائدة . وقال بعض المحققين هو من المِلْكِ ، قال : والمتوَلي من الملائكةِ شيئاً من السياسات يقال له مَلَك بالفَتْحِ ، ومن البشر يقال له مَلِك بالكسر ، فكل مَلَكٍ ملائكَة وليس كل ملائكةٍ مَلَكاً ، بل المَلَكُ هو المشارُ إليهِ بقوله : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ [٢] ، ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ [٣] ، ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ ﴾ [٤] ونحو ذلك ، ومنه مَلَكُ الموتِ ، قال : ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ [٥] ﴿ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ [٦] ، ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾)[٧] .

وقيل في تعريفه أنه : (جسم لطيف نوراني يتشكل بأشكال مختلفة) [٨] .

---

[١]) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس – السيد محمد مرتضى الزبيدي ٢٧ / ٥٣ و ٣٥٥ .

[٢]) سورة النازعات – الآية : ٥ .

[٣]) سورة الذاريات – الآية : ٤ .

[٤]) سورة النازعات – من الآية : ١ .

[٥]) سورة الحاقة – من الآية : ١٧ .

[٦]) سورة البقرة – من الآية : ١٠٢ .

[٧]) سورة السجدة – من الآية : ١١ ، وانظر : المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني : ٤٩٤ مادة : (**ملك**) .

[٨]) التعريفات – الإمام الجرجاني : ٢٢٦ باب (**الميم**) .

والملائكة خلقهم الله من نور كما خلق آدم من طين وكما خلق الجان من نارٍ، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**خُلِقَت الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجان من مارجٍ من نار ، وخُلِق آدم مما وصف لكم**) (1) .

فهم عالم آخر قائم بنفسه مستقل بذاته لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية فلهم قدرات وأحوال وأعمال ومقامات ليس هنا محل تفصيلها (2) .

* **الموت** : هو (صفة وجودية خُلقت ضداً للحياة ، واصطلاح أهل الحق : قمع هوى النفس ؛ فمن مات عن هواه فقد حَييَ بهداه) (3) .

قال الإمام الزمخشري رحمه الله :

(مات مَوتةً لم يمتها أحد . ومات مِيتةَ سوء ، وأماته الله ، وهو مَيت ومَيْت ، وهم موتى وأموات وميتون) (4) .

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله في تعريفه للموت :

(زوال القوةِ الحَيَوَانِية وإبانَة الروح عن الجسد) (5) .

وقيل الموت : (ذهاب الروح بالآجال ، وهو الموت الذي لا يعود صاحبه إلى الدنيا) (6) .

قال الإمام مقاتل بن سليمان البلخي رحمه الله :

(والموت الذي يفرق منه هو الموت الذي لا يرجع صاحبه إلى الدنيا إلى يوم النشور) (7) .

---

1) أخرجه : مسلم في " **صحيحه** " 4 / 2294 (2996) .

2) ينظر : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد – الشيخ حافظ بن أحمد حكمي حكمي 2 / 49 ، والعقائد الإسلامية – السيد سابق : 111 .

3) التعريفات – الجرجاني : 232 باب : (**الميم**) .

4) أساس البلاغة – الإمام الزمخشري : 606 مادة : (**موت**) .

5) المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني : 498 مادة : (**موت**) .

6) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز – الإمام الدامغاني : 421 ، وينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم – العلامة مقاتل بن سليمان البلخي : 93 .

7) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم – العلامة مقاتل بن سليمان البلخي : 94 .

فمن ذلك نستطيع أن نقول أن الموت : (ليس بعدم محض ، ولا فناء صِرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته ، وحيلولة بينهما ، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار ، والحياة عكس ذلك) [1] .

ثانياً : المناسبة:

قال الإمام البقاعي رحمه الله :

(ولما ذكر استبعادهم ، وأتبعه عنادهم ، وكان إنكارهم إنما هو بسبب اختلاط الأجزاء بالتراب بعد انقلابها تراباً ، فكان عندهم من المحال تمييزها من بقية التراب . دل على أن ذلك عليه هين بأن نبههم على ما هم مقرون به مما هو مثل ذلك بل أدق . فقال مستأنفاً : ﴿ قُلْ ﴾ أي جواباً لهم عن شبهتهم : ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ أي : يقبض أرواحكم كاملة من أجسادكم بعد أن كانت مختلطة بجميع أجزاء البدن ، لا تميز لأحدهما عن الآخر بوجه تعرفونه بنوع حيلة ﴿ مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾) [2] .

ثالثاً : وجوه القراءات :

- قوله تعالى : ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ .

  قرأها بالإمالة حمزة والكسائي وخلف [3] .

- قوله تعالى : ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ :

  قرأ الجمهور بضم حرف المضارعة وفتح الجيم بالبناء للمفعول { **تُرْجَعون** }. وقرأ

  يعقوب وزيد بن علي بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم بالبناء للفاعل [1] .

---

[1]) الموت في القرآن الكريم – عادل كمال حاج الخضر – رسالة ماجستير مجازة من جامعة أم درمان – كلية أصول الدين – ٢٠٠٦ : ٣٠ .

[2]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – الإمام البقاعي ٦ / ٥٤ .

[3]) ينظر : النشر في القراءات العشر – الإمام ابن الجزري ٢ / ١٥٧ ، والقراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة – محمد كريم راجح : ٤١٥ .

رابعاً : وجوه الإعراب :

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [2] .

(استئناف ابتدائي جار على طريقة حكاية المقاولات لأن جملة ﴿ قُلْ ﴾ في معنى جواب لقولهم: ﴿ أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾) [3].

خامساً : المعنى العام :

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [4] .

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله :

(يعني لا بُد من الموتِ ثم من الحياة بعده ، واليه الإشارة بقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾) [5] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

(قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله ....) [1] .

---

[1]) ينظر : النشر في القراءات العشر – الإمام ابن الجزري ٢ / ١٥٧ ، والقراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة – محمد كريم راجح : ٤١٥ ، وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن – الشيخ محمد الأمين الهرري ٢٢ / ٣٤٦ .

[2]) سورة السجدة – الآية : ١١ .

[3]) سورة السجدة – من الآية : ١٠ ، وانظر : التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢١ /١٥٣ .

[4]) سورة السجدة – الآية : ١١ .

[5]) سورة السجدة – من الآية : ١١ ، وانظر : التفسير الكبير أو (**مفاتيح الغيب**) – الإمام فخر الدين الرازي ٢٥ / ١٥٤ .

وقال الشيخ محمد بن عمر نووي الجاوي رحمه الله :

(أي قل يا أشرف الخلق ......) [٢] .

أو : (قل يا رسولنا لهؤلاء المنكرين للبعث ولقاء الرب تعالى ......) [٣] .

أو : (قل يا محمد لهؤلاء الجاحدين .....) [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ .

قال الإمام الواحدي رحمه الله :

(يقبض أرواحكم) [٥] .

سادساً : ما يستفاد من الآية :

يُفادُ من الآية الأُمور الآتية :

١- في الآية : دليل على بقاء الأرواح ، فلا بُد من الحياة بعد الموت لا كما يزعم أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة [٦] ، أي : (تقرير عقيدة البعث والجزاء) [٧] ، بما لا خفاء فيه ولا لبس [١] ، وإننا صائرونَ إلى الله

---

١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – الإمام الطبري ١١ / ١١٨ ، وينظر : التفسير الوسيط – الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ٣ / ٢٠٤٤ .

٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد – الشيخ محمد بن عمر نووي الجاوي ٢ / ٢٤٢ .

٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ٣ / ٢٢٦ .

٤) التدبير والتنزيل في سورة السجدة – الشيخ عبد الحميد محمود طهماز : ١٣ .

٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – الإمام أبو الحسن الواحدي ٢ / ٨٥٣ ، ومعالم التنزيل – الإمام البغوي ٣ / ٤٩٩ ، وتفسير البكري – الإمام أبو الحسن البكري ٣ / ٤٢ ، وبهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – الإمام الماrديني المعروف بابن التركماني : ١٨٢ ، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم – الإمام مقاتل بن سليمان البلخي : ١٢٤ ، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس – الفيروز آبادي : ٤٣٧ ، وتفسير الجلالين – الإمام جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي : ٤١٥ ، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ٣ / ٢٢٦ ، وكلمات القرآن تفسير وبيان – جواد الملا سعيد خليفة الأربيلي : ٤٠٧ ، وتفسير القرآن الكريم – السيد عبد الله شُبر : ٦٢٤ ، وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن – الشيخ محمد الأمين الهرري ٢٢ / ٣٤٥ .

٦) ينظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد – الشيخ محمد بن عمر نووي الجاوي ٢ / ٢٤٢ .

٧) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – أبو بكر جابر الجزائري ٣ / ٢٢٦ .

سبحانه وتعالى أحياء بالبعث والنشور لا إلى غيره فيجازينا بأعمالنا ، إن خيراً فخير ، وان شراً فشر [٢] .

٢- (أن يربط الداعية في دعوته بين خلق الإنسان وخلق الكون وحقيقة الموت لإدراك طلاقة القدرة) [٣]

٣- في الآية أمر للرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يعيد إعلام الكفار بأنهم مبعوثون بعد الموت ، فالمقصود من الآية هو قوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ إذ هو مناط إنكارهم ، وأما إنهم يتوفاهم مَلَكُ المَوت فذكره لتذكيرهم بالموت وهم لا ينكرون ذلك ولكنهم ألهتهم الحياة الدنيا عن النظر في إمكان البعث والاستعداد له ، فذكروا به ثم أدمج فيه ذكر مَلَك الموت لزيادة التخويف من الموت والتعريض بالوعيد من قوله : ﴿ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[٤] .

٤- (في الآية إبطال لجهل الكفار بأن الموت بيد الله تعالى ، وأنه كما خلقهم يميتهم ، وكما يميتهم يحييهم ، وأن الإماتة والإحياء بإذنه ، وتسخير ملائكته في الحالين ، وذلك إبطال لقولهم: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾[٥] فأعلمهم الله أنهم لا يخرجون عن قبضة تصرفه طرفة عين لا في حال الحياة ولا في حال الممات . وإذا كان موتهم بفعل مَلَك المَوت الموكل من الله بقبض أرواحهم ظهر أنهم مردودة إليهم أرواحهم متى شاء الله) [٦] .

٥- (بيان أن لقبض الأرواح مَلَكاً وله أعوان من الملائكة ، وأن الأرض جُعِلَت له كالطست بين يديه يتناول منها ما يشاء) [٧] .

---

[١]) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – الإمام البقاعي ٦ / ٥٥ .

[٢]) ينظر : فتح القدير – الإمام الشوكاني ٢ / ٣٩٠ .

[٣]) التفسير التربوي للقرآن الكريم – أنور الباز ٣ / ١٩ .

[٤]) ينظر : التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢١ / ١٥٣ .

[٥]) سورة الجاثية – من الآية : ٢٤ .

[٦]) التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢١ / ١٥٤ .

[٧]) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ٣ / ٢٢٧ .

٦- (الذنب الذي هو سبب كل ذنب هو الكفر بلقاء الله تعالى) [١] .

حَمَلة عَرْش الرَّحمن

في القُرآن الكريم دراسة تحليلية

قال تعالى : ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾ [٢] ،

أولاً : التحليل اللغوي :

- **عَرْش** : قال ابن فارس رحمه الله : (العين والراء والشين أصل صحيح واحد يدل على ارتفاع شئ مبني ثم يستعار في غير ذلك) [٣] ، ومن ذلك عرشت الكرم وعرشته ، ويقال اعترش العنب إذا علا على العرش ، ويجمع العرش على عروش وعُرُش وأعراش وعرشه [٤] ، وَ(العَرْشُ في اللغة : سَرير الملك ، وهو أعظم مخلوقات الله تعالى ، نؤمن به ، ونفوض الأمر في وصفهِ لله عز وجل) [٥] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [٦] وقوله : ﴿ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ ﴾ [٧]
وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله عن العرش : (سرير المملكة) [٨] .

---

١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ٣ / ٢٢٧ .

٢) سورة الحاقة – من الآية : ١٧ .

٣) معجم مقاييس اللغة – ابن فارس ٤ / ٢٦٦ مادة (**عرش**) .

٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة – ابن فارس ٤ / ٢٦٥ مادة (**عرش**) ، وتاج العروس من جواهر القاموس – السيد محمد مرتضى الزبيدي ١٧ / ٢٥٥ مادة (**عرش**) .

٥) التفسير الوسيط – الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ٣ / ٢٧٢٤ ، وينظر : غريب القرآن – الإمام محمد بن بن عزيز أبو بكر السجستاني : ١١٣ ، وبهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – ابن التركماني : ١١٥ ، والتفسير المعين للواعظين والمتعظين – محمد هويدي : ٢٤٧ .

٦) سورة يوسف – من الآية : ١٠٠ .

٧) سورة النمل – من الآية : ٤٢ ، وينظر : غريب القرآن – الإمام محمد بن عزيز أبو بكر السجستاني : ١١٣ .

٨) تذكرة الأريب في تفسير الغريب (**غريب القرآن الكريم**) – الإمام ابن الجوزي : ١٧٦ .

وقال الجرجاني رحمه الله : (العَرْشُ : الجسم المحيط بجميع الأجسام ، سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك في تمكنه عليه عند الحكم لنزول أحكام قضائه وقدره منه ، ولا صورة ولا جسم ثمة) (١) .

ثانياً : المناسبة :

قال الإمام برهان الدين البقاعي رحمه الله :

(ولما كان الملك يظهر يوم العرض سرير ملكه ومحل عزه ، قال : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ ﴾ (٢) (٢) ولما كان هذا أمراً هائلاً مقطعاً للقلوب ، قال مؤنساً للمنزل عليهِ هذا الذكر مؤمناً له من كل ما يحذر :﴿ رَبِّكَ ﴾ (٣) أي المحسن إليك بكل ما يريده لا سيما في ذلك اليوم بما بما يظهر من رفعتك .

ولما كان العرش عاماً لجهة الفوق كلها ، أسقط الجار ، فقال : ﴿ فَوْقَهُمْ ﴾ (٤) أي فوق رؤوسهم ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ (٥) أي يوم إذ وقعت الواقعة بعدد ما كان تحته من السماوات السبع والكرسي) (٦) .

ثالثاً : المعنى العام :

قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ (٧).

قوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ﴾ .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

(**فيه ثلاثة أقوال :**

أحدها : فوق رؤوسهم ، أي العرش على رؤوس الحَمَلَة ، قاله مقاتل .

---

١) التعريفات – السيد الشريف الجرجاني : ١٥٢ باب العين .

٢) سورة الحاقة – من الآية : ١٧ .

٣) سورة الحاقة – من الآية : ١٧ .

٤) سورة الحاقة – من الآية : ١٧ .

٥) سورة الحاقة – من الآية : ١٧ .

٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – الإمام البقاعي ٨ / ١٢٧ – ١٢٨ .

٧) سورة الحاقة – من الآية : ١٧ .

(**والثاني :** فوق الذين على أرجائها ، أي : أن حملة العرش فوق الملائكة الذين هم على أرجائها .

(**والثالث :** أنهم فوق أهل القيامة) [1] .

والظاهر أن الخلاف في هذا الأمر راجع إلى خلافهم في مرجع الضمير الغائب من قوله تعالى : { فَوْقَهُمْ } ففيه ثلاثة آراء :

١- أن الضمير عائد على الملك وجئ به ضمير جمعٍ على المعنى لأن الملك يراد به الجنس .

٢- أن الضمير يعود على الملائكة الحاملين أي فوق رؤوسهم .

٣- أن الضمير راجع إلى العالم كلهم [2] .

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله :

(الضمير في { فَوْقَهُمْ } إلى ماذا يعود ؟ .

فيه وجهان :

الأول : وهو الأقرب أن المراد فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء ، والمقصود التمييز بينهم وبين الملائكة الذين هم حملة العرش .

الثاني : قال مقاتل : يعني أن الحملة يحملون العرش فوق رؤوسهم ، و مجئ الضمير قبل الذكر جائز كقوله : في بيته يؤتى الحكم) [3] .

وقال الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله :

(ويتعلق { فَوْقَهُمْ } بـ : {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ} وهو تأكيد لما دل عليه يحمل من كون العرش عالياً فهو بمنزلة القيدين في قوله : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [4] ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإضافة عرش إلى الله إضافة تشريف مثل إضافة

---

[1]) زاد المسير في علم التفسير – الإمام ابن الجوزي ٨ / ١١٠ .

[2]) ينظر : البحر المحيط في التفسير – الإمام أبو حيان ١٠ / ٢٥٩ .

[3]) التفسير الكبير أو (**مفاتيح الغيب**) – الإمام فخر الدين الرازي ٣٠ / ٩٦ .

[4]) سورة الأنعام – من الآية : ٣٨ .

الكعبة إليه في قوله : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ [1] ، والله منزه عن الجلوس على العرش[2] وعن السكنى في بيت) [3] .

وقوله تعالى : ﴿ عَرْشَ رَبِّكَ ﴾ ، قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله :

(العَرْشُ في الأصْل شي مُسَقف ، وَجَمْعُهُ عُرُوش .... وسمي مجلس السلطان عَرْشاً اعتباراً بِعُلُوِهِ ، قال : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [4]﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ [5]﴿ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ﴾ [6]﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ﴾ [7] وكني به عن العز والسلطان والمملكة ، قيل فلان ثُل عَرْشُهُ [8].

وروي أن عمر رضي الله عنه رؤي في المنام فقيل ما فعل بك ربك ؟ فقال : لولا أن تداركني برحمته لَثُل عَرْشي) [9] .

قال الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله :

(عرش الرب : اسم لما يحيط بالسماوات وهو أعظم من السماوات) [1] .

---

[1]) سورة الحج – من الآية : ٢٦ .

[2]) هذا على مذهب الخلف . أما المذهب الحق وهو مذهب السلف الذين يقولون أن الله استوى على عرشه استواء يليق بجلاله كما أخبر ، وهو صفة ثابتة في القرآن والسنة ، وقد أجمع سلف الأُمة على إثباتها بلا تشبيه ولا تعطيل ، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقول الإمام مالك مشهور في هذا أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة . ينظر : العرش – الإمام شمس الدين الذهبي ١ / ١٨٩ .

[3]) التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٩ / ١١٩ .

[4]) سورة يوسف – من الآية : ١٠٠ .

[5]) سورة النمل – من الآية : ٣٨ .

[6]) سورة النمل – من الآية : ٤١ .

[7]) سورة النمل – من الآية : ٤٢ .

[8]) يقال : تللتُ البيت هدمتُه ، ويقال لقوام الرجل وأمره عرش فإذا زال ذلك عنه قيل ثُل عرشه . ينظر : معجم مقاييس اللغة – ابن فارس ١ / ٣٦٩ و ٤ / ٤٦٥ .

[9]) المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني : ٣٤٢ كتاب العين ، وينظر : الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز – الدامغاني : ٣٤٩ .

وقيل : (سرير الملك) [٢] .

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله :

(ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم بالصواب) [٣] .

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله :

(هذا العرش هو الذي أراده الله بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ ﴾ [٤] وقوله : ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [٥]) .

رابعاً : ما يستفادُ من الآية :

يُفادُ من الآية الأُمور الآتية :

١- قد أُضيف العرش إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذه الإضافة إضافة تشريف مثل إضافة الكعبة إليه في قوله تعالى : ﴿ وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [٦] .

٢- قد اختلف العلماء في صفة العرش على أقوالٍ عدة ، فمنهم من قال انه جوهرة خضراء ، ومنهم من قال انه من أعظم المخلوقات خلقاً .... الخ .

وأرى أن كل الأقوال التي قيلت في صفة العرش هي من الأُمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، ولم تثبت لنا بدليلٍ صحيح قطعي .

٣- (كل شئ في الكون موكل به ملك من الملائكة ، فمنهم حملة العرش ، والملائكة المقربون ، والعالون) [١] .

---

[١]) التحرير والتنوير – الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٩ / ١١٨ .

[٢]) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – مجد الدين الفيروز آبادي : ٦١٢ .

[٣]) تفسير القرآن العظيم – الإمام ابن كثير ٤ / ٣٨٤ .

[٤]) سورة غافر – من الآية : ٧ .

[٥]) سورة الزمر – من الآية : ٧٥ ، وانظر : التفسير الكبير أو (**مفاتيح الغيب**) – الإمام فخر الدين الرازي ٣٠ / ٩٦ .

[٦]) سورة الحج – من الآية : ٢٦ .

[1]) أسماء الله الحسنى – الشيخ محمد متولي الشعراوي ١ / ١٠٠ ، وموقف الشيخ الشعراوي من قضايا العقيدة عرض ونقد – ماجد إبراهيم حمدان : ١٦٣ ، رسالة ماجستير مجازة من الجامعة الإسلامية – غزة – كلية أُصول الدين – قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .